الجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطيّة الشعبيّة
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمّد خيضر –بسكرة–
كليّة الآداب واللّغات
قسم الآداب واللّغة العربيّة

قصيدة وصف السجن لعبد الملك بن مروان الجزيري

–دراسة أسلوبيّة فنيّة–

مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللّغة العربيّة

تخصّص: نقد أدبي

إعداد الطالب:
اسعيد غشة

إشراف الأستاذ الدكتور:
امحمد بن لخضر فورار

أعضاء لجنة المناقشة

أعضاء اللّجنة	الرتبة العلمية	الصفة
نصر الدين بن غنيسة	أستاذ دكتور	رئيسا
امحمد بن لخضر فورار	أستاذ دكتور	مشرفا ومقرّرا
نعيمة فرطاس	دكتورة	مناقشا

العام الجامعي:

1438/1437 هـ

2017/2016 م

قال عزّ وجلّ:

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

طه/114

الإهداء

أهدي هذا العمل البسيط مع شكري الخالص إلى العائلة الكريمة وإلى والديّ جزاهما الله عنّي خير الجزاء، وإلى الدكتور المحترم : امحمد بن لخضر فورار أستاذي الفاضل والمشرف على هذا البحث، وإلى لجنة المناقشة أيضا، وإلى أصدقائي المحترمين كل باسمه وأيضا إلى من ساعدني ووقف معي سواء من قريب أو بعيد فجزاكم الله كل خير..

مقدمـــة

حظي الأدب الأندلسي بمكانة عالية نتيجة تنوع منتوجه الأدبي والثقافي ومدى امتزاجه بالحضارات خاصة الأوربية؛ مما سمح بالزيادة في الاهتمام أكثر بالأدب وبالتراث الأدبي وعند اكتشاف الأندلسيين لسياسة الدول الأوربية الرامية إلى تقليص الإسلام ومحو التراث، سارعوا إلى احتواء تراثهم من الاندثار والهيمنة هذا مما جعلهم ذات مكانة رفيعة بل في أعلى المستويات .

إنّ اهتمامنا بالأندلس تاريخا وفكرا وأدبا وحضارة وفن جاء نتيجة تلك الظروف والتجاذبات التي عاشتها الأندلس بين السمو بالمكانة الأدبية والصراع السياسي آنذاك ومما يزيدنا اهتماما بدراسة حضارة الأندلس الرائعة التي أنشئت في مدنه وربوعه أنها كانت كالكوكب اللامع المضيء ومن الأهداف أيضا التي تجعل الأدب الأندلسي صوب أعيننا لولادتها لفلاسفة مثل: ابن رشيق وابن باجة وغيرهم.

ومن الأسباب التي مهّدت لنا الطريق لدراسة هذا الموضوع مكانة الشعر وعظمته وأهميته ورسالته النابعة من بيئته، خاصة أن أغلب الشعر الأندلسي نابع من تسلط الحكام وجورهم ؛ ما دفع الشعراء إلى احتذاء منهج القافية لسرد ووصف أحوالهم وعبد الملك الجزيري أنموذج لشاعر عانى ويلات السجن والبعد عن الأهل والوطن وهذا ما تضمّنته خطة بحثنا والمتمثلة في :

الفصل الأول: دراسة لحياة الشاعر عبد الملك الجزيري حياته وشعره وسجنه ووفاته ولمكانته الأدبية أيضا .

أما **الفصل الثاني**: فهو دراسة أسلوبية لشعره والمتضمنة لشوق وحنين الشاعر للأهل والوطن وكذا الألم والعذاب نتيجة البعد وهو في السجن، كذلك تضمن الفصل الثاني النصح والإرشاد.

أما الفصل الثالث وهو الجانب الفني فقد تضمن لغة الشاعر وأسلوبه كما تضمن الصورة الشعرية والبيانية بعناصرها من استعارة وتشبيه وكناية ومجاز وكذلك تم التطرق للمحسنات البديعية

والمتضمنة هي الأخرى للطباق والسجع والجناس لننتقل بعدها للموسيقى الشعرية التي احتوت للموسيقى الداخلية والخارجية .

وقد استندنا لسبك أواصر بحثنا على المنهج الوصفي التحليلي لملاءمته طبيعة الموضوع وتساوقه ومدار الدّراسة، ومن بين المراجع التي اعتمدنا عليها:

كتاب أمراء الشعر الأندلسي، وكذلك كتاب شعر السجون في الأدب الحديث، وكذا كتاب شعر أبي مروان الجزيري الأندلسي.

و بالرغم من الصعوبات التي واجهتنا من ناحية نقص المراجع إلا أنّ هذا لم يمنعنا من المضي قدما في مسعانا البحثي العلمي؛ بل زادنا إصرارا في معالجة وإعداد هذا البحث وإن كان بسيطا.

وفي الأخير أحمد الله عزّ وجل على رحمته بي وحسن توفيقه، ثم أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف الدكتور "**امحمد بن لخضر فورار**" الذي كانت نصائحه وتوجيهاته نبراسا استنار به هذا البحث وتقوّم منذ كان فكرة حتى حيك في صورته النهائية، فله مني جزيل الشكر والعرفان.

والله وليّ التوفيق

الفصل الأوّل: عبد الملك الجزيري حياته ومكانته الشعريّة

1-السجن مفهومه وموضوعاته

أ-مفهوم السجن لغة

ب-السجن اصطلاحا

ج-موضوعات شعر السجون

2-عبد الملك الجزيري حياته ومكانته الشعرية

أ-مولده ونشأته

ب- حياته في عهد الحاجب المنصور

ج- شعره

د- سجنه ووفاته

هـ- مكانته الأدبيّة

و-مستوى شعره

1-السجن مفهومه وموضوعاته:

أ-مفهوم السجن لغة:

ورد في اللغة العربية كثير من الدلالات المرادفة لمفهوم السّجن، وهي الحبس والحجز: «إذًا السجن في المعاجم العربية بمعنى الحبس وحجز الحرية والإيقاف عن العمل لسبب من الأسباب استعمله الشعراء العرب الجاهليون للدلالة على تلك الحالة».[1]

ولذا فالسجن باعتباره البيت الذي يحبس فيه الشخص للدلالة على وقفه ونهبه وزجره فيها هو فاعله ونقول فلان قيد الحجز أو رهن الحبس.

«وفي المعجم لسان العرب» لابن منظور نجد الشروح التالية السجن، الحَبْس والسّجن بالفتح: المصدر سجنه يسجنه سجنا؛ أي حبسه: المحبس وفي بعض القراءة: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾.[2]

وهنا تعني الوقف لسبب من الأسباب لغلط أو خطأ صدر في حقّه العقاب بالسجن.

وردت أيضا في القرآن الكريم كثير هذه الألفاظ والدلالات كقوله في سورة يوسف ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.[3]

ب-السجن اصطلاحا:

يرى عباس محمود العقاد «أن عقاب المجرم واجب وحق، ولو لم تكن له نتيجة غير جزاء العمل بمثله ومقابلته الأضرار بالأضرار؛ فإنّ العدل البديهي يأمر بأن يؤلم يتألم ومن يسئ يسأ

1-سالم معوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية للطباعة للنشر 1424 هـ، 2003، بيروت، لبنان، ص: 26.

2-سالم معوش، المرجع نفسه، ص: 27.

3- سورة يوسف، الآية 33.

والضمير الإنسان يأبى أن يرى شقيا معذّبا، ومن يشقيه ويعذّبه ويغدو ويروح آمن السرب مستريح البال، ولم لم يتمادى في الإيذاء والتعذيب ».[1]

إنّ من الأسباب التي تؤول إلى دخول السجن ذلك بسبب بعض الاختلالات التي يقوم بها الشخص تكون غير منافية للقوانين بأشكالها المختلفة والمعارضة للسلطة القائمة هذا ما يعتبره الحاكم خروج عنه وعن مبادئه وواجب العقاب عليه بغية الردع ومعالجة الوضع وذلك يحبس الشخص وسلب حريته تجنّبا لمعاودة الكرة لذلك شرعت قوانين العقاب أو العقوبات ليصبح السجن مؤسسة عقابية تمنع الشخص من تكرار فعلته المخالفة والخارجة عن القانون والمؤذية للغير.

ج–موضوعات شعر السجون:

«أما الموضوعات التي تناولها هؤلاء الشعراء المسجونون فتدور حول المعاناة من السجن والمدح والخمرة وأحوال الأهل والقيم، والظلم والوجدانية...إضافة إلى الموضوعات التي عرفها شعر السجون في العصر الجاهلي وما استجد من أمور المذهبية والشعوبية والسياسية والفخر والثار ووصف السجن وأحوال السجين والتمرد والثورة والشوق إلى الحياة...»[2]

وهذا عبد الملك الجزيري نموذج للسجين الذي عانى ويلات الشوق والحنين إلى الأهل والأحبة فقد ذكر في بعض أبياته واصفا السجن هو الحد البعيد بدينه وبين أهله وذلك في قوله:

وقصّرت عنهم فاقتصرت على جوى *** لم يدع بالواني ولا المقصّر

أزري بصبري وهو مشدود القوى *** وألان عودي وهو صلب المكسر

سدّت سبيل الوصل وانحلت عرا *** أسبابه بحلول يوم أزور

1- سالم معوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، ص: 32.

2-المرجع نفسه، ص: 33.

البعد عن الأهل والأحبة هو المصير الذي لقاه كثير من الشعراء في هذا العصر جراء تجبّر الحكّام واضطهادهم لكثير من الشعراء كعبد الملك الجزيري والمعتمد بن عباد وغيرهم من الشعراء الذي اتّخذوا من السجن بابا لموضوعاتهم ونشر وفضح ما تهو جبه قرائحهم وقلوبهم من الشوق والحنين والعودة إلى الأهل.

2-عبد الملك الجزيري حياته ومكانته الشعرية:

أ-مولده ونشأته:

عبد الملك بن إدريس الجزيري لم يذكر زمان ومكان ولادته، فقد طغى عليها الغموض ولم يذكر أي مصدر بالضبط تاريخ مولده؛ لكن أجمعت بعض المصادر على التقريب من ذلك انطلاقا من تاريخ وفته الذي كان سنة 394 هـ وخاصة انه كتب قصيدة وهو مشهور بها وهي قصيدته الرائية التي يذكر فيها فقدانه لشبابه.

فقط يمكن «التكهّن بذلك؛ لأنّ الجزيري لم يكن له ذكرا في عهد الحكم المستنصر الذي حكم بين 350 و 366هـ من ذلك أمكن التكهّن بأنّه ولد في أواخر النصف الأول من القرن الرابع الهجري ولعلّه في أثناء العقد الرابع أو الخامس منه».[1]

ولهذا فإنّ الجزيري من الشعراء الذين لم يتم تحديد بلدهم من الأندلسيين ولا حتى تاريخ ميلادهم، ومكانهم، ويرجح البعض أنّ مولده كان في الجزيرة الخضراء بالأندلس نسبة له، لذا لقب بالجزيري.

1-أحمد عبد القادر، صلاحية شعر أبي مروان الجزيري الأندلسي، ط1، 1418هـ-1997 م، دار المكتبي، دمشق، سوريا، ص 32.

ب–حياته في عهد الحاجب المنصور:

عرفت حياة الجزيري في عهد الحاجب المنصور (366-392) بأنّها حياة السلطة والجاه حيث كان من المقربين إلى الحاكم الحاجب المنصور، وفي فترة حكم هذا الأخير كان الحاجب المنصور يأمره أن يرد على من يستعطفونه أو كل من يتحدث عنه، فكانت حدته وبيانه وبديهته قد ساعدته على شد الأنظار نحوه في المحافل والمناسبات والأعياد.

«إذا فقد تسلم الجزيري منصب رئيس الشرطة وهو مركز سياسي بالغ الخطورة ومن ثم ارتقى في المناصب السياسية والديوانية حتى تقلد ديوان الإنشاء».[1]

هذا التقليد جاء نظير فطنته وحنكته في تدبر الأمور إلى أن تقلد رتبة وزير الحاجب المنصور وأصبح أحد كتابه ووزرائه المقربين ومن هذا أمكن القول انه كاتب ووزير للدولة العامرية آنذاك.

«كما كان الحاجب المنصور يصحب الجزيري في من يصحب من وزراء وأدباء وشعراء وقد ذكره ابن الخطيب ضمن هذه الطائفة وذلك ليسجلوا مآثر المنصور ومفازه وللجزيري شعر يمدحه فيه في حلّه وترحاله».[2]

ولهذا حظي الجزيري بمكانة ورفعة ومعزة غمزت قلبه الحاجب المنصور ليوصله إلى ما وصل عليه الجزيري ومن الحكم والارتقاء في المناصب.

1- أحمد عبد القادر، صلاحية شعر أبي مروان الجزيري الأندلسي، ص 42-43.

2-امحمد بن لخضر فورار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قاصدي مرباح، مجلة الأثر، العدد 6، ماي 2007 ، ورقلة، الجزائر.

ج–شعره:

لم يكن الجزيري مقتصرا حتى في الشعر ؛ بل كان فارسا في مضمار الشعر ومجيدا فيه وقد حظي بشهادة الكثير ممن عرفوه بأنه أحد الشعراء البالغين أو المجيدين في زمانه.

«كما أطلق عليه ابن حبّان "فارس نثر ونظام" وانه لم يختلف مثله كتابة وخطابة وبلاغة وشعرا وفهما ومعرفة».

ويعد المستشرق الإسباني الكبير بالنثيا في طليعة شعراء هذا العصر ويصفه الأستاذ علي بن محمد بأنّه «كان كاتبا وشاعرا مشهورا»[1].

شعر عبد الملك الجزيري والموصوفة بالدقة والبلاغة في الوصف والتعبير مكناه من بلوغ أرقى المستويات تارة واستعطاف الحكام تارة أخرى فشعره الموسوم بالفصاحة جعلاه سيد الشعر في عصره فقد بلغ الأمر إلى أن يستعان به في الرد على الهجاء والقدح وهذه نماذج مختارة من شعره:

والله حسبكم وحسبي إنّه *** حسب المنيب القانت المستغفر

وإليه أسند أمركم وكفى به *** سندا لكل مفوض مستقدر

وعليه اقصر حالكم فهو الذي *** ما دونه لعباده من معصر

ولعله في بعض ما يقضي به *** ما يشاء بلا وزير موزر

يدني لقاءكم بأدب عاجل *** ترضاه نفس الآمل المتحبّر[2]

1- أحمد عبد القادر، صلاحية شعر أبي مروان الجزيري الأندلسي، ص 80-81.

2-امحمد بن لخضر فورار، الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية، منشورات مخبر أبحاث في اللغة العربية، قسم الأدب العربي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، ص 149.

وهنا عبد الملك الجزيري يبعث برسالة يتصبر بها أهله و أولاده في أبيات من الشعر يوضح فيها بأنّه يفوض أمره إلى الله عز وجل لمصيره المحتوم ويفوض أمر أهله إلى الله عز وجل فهو القادر على مراعاة حاله وحالهم وأن أمره كله ومصيره بيديه لا بيدي الوزير أو الحاكم.

كما يدعو الله أن يقرب ويعجل لقاءهم به تقر بها عين كل مشتاق لرؤيته.

ثم يكتب أبيات من الشعر يستعطف بها الحاكم المنصور لعلّه يفرج عنه قائلا:

«لا تسأموا إحضاره رغباتكم فهباته مبسوطة لم تحظر

وعسى رضا المنصور يسفر وجهه فبديل من وجه الفراق الأغبر»[1]

وهنا يعني أنّ الحاكم المنصور سخي وقلبه طيّب، فلا يرد سائله وطالب عونه فلما سمع المنصور بذلك رق قلبه وعفا عنه وأعاده إلى منصبه الذي كان عليه.

د–سجنه ووفاته:

سجن عبد الملك الجزيري في عهد الحاجب المنصور بالرغم من انّ علاقته كانت جيدة، فقد عاصر الجزيري الحاجب المنصور ما يقارب من عشرين عاما وصار مقربا منه ونديما له، وأصبح كاتبه الأول ورئيس ديوان الإنشاء لديه ووزيرا ه في عهده. وكان له وقتها خمسة أولاد وبنت وتذكر المصادر أن سجنه الأول كان في سجن الزاهرة؛أي في مقر حكم المنصور أما سجنه الثاني فقد كان في سجن طرطوشة البعيد والمنيع.

«أما سبب سجنه فهو اغتراره بنفسه وظنّه أنه صار الرجل الأكثر أهمية في الحشية، وأن المنصور لا يقدر على الاستغناء عنه وهذا كما هو جلي لا يكون في بداية علاقته مع الحاجب المنصور كما أسلفنا فقد عتب المنصور على الجزيري وجفاه وسخط عليه ثم سجنه في مقر حكمه

1-المرجع السابق، ص: 150.

الزاهرة ثم نفاه إلى طرطوشة، حفظ لنا ابن سعيد سبب سجنه الحقيقي نقلا عن ابن حيّان في أعتاب الكتاب»[1].

وفي بادئ الأمر كان سجنه بالزاهرة ولكن الصفح لم يكن سهلا لولا أن بعث الجزيري أشعارا عدة يستعطف بها الحاجب المنصور وذلك في قوله:

عجبت من عفو أبي عامر *** لا بد أن تتبعه منّه

كذلك الله إذا ما عفا *** عن عبده أدخله الجنة

فعفا عنه الحاجب المنصور وعاد الجزيري إلى الكتابة والوزارة وما لبث حتى وجد نفسه محبوسا مجددا، ولكن هذه المرة قام الحاجب المنصور بنفيه إلى سجن طرطوشة، فكتب أبياتا من الشعر في ذلك، يقول:

قالوا جفاه ثلاثا ثم عرّبه *** فليس يرجو لديه حظوة أبدا

جاروا وما عدلوا في القول، بل حكموا *** على المقادير جهلا لا هدوا رشدا

أليس يوقد نصل السيف ضاربه *** قبل الصقال مرارا جمة عددا

حتى إذا ما سقى حدّيه ريّهما *** واهتز لدنا دعاه الصارم الفردا

وما المهذب إلا من تعرّفه *** زمانه مخطئا طورا ومعتمدا

ولكن هذه الأبيات على الأرجح لم تصل إلى مسامع المنصور بينما كان الجزيري طامعا في العفو عنه إلى كتب رائية أو قصيدة يذكر فيها ألمه وحنينه لأولاده وكان مطلعها:

ألوى بعزم تجلدي وتصبري *** نأي الأحبة واعتياد تذكّري

[1]- أحمد عبد القادر ، صلاحية شعر أبي مروان الجزيري الأندلسي، ص 51-54.

إلى غاية قوله:

والله حسبكم وحسبي إنّه *** حسب المنيب القانت المستغفر

وإليه اسند أمركم وكفى به *** سندا لكل مفوض مستقدر

وعليه أقصر حالكم فهو الذي *** ما دونه لعبادة من معمر

ولعله في بعض ما يقضي به *** مما يشاء بلا وزير موزر

يدني لقاءكم بأوب عاجل *** ترضاه نفسي الأمل المتجبر

لا تسأموا إحضاره رغباتكم *** فهباته مبسوطة لم تحظر

وعسى رضا المنصور يسفر وجهه *** فيديل من وج الفراق الأغبر[1]

فرق له المنصور لما سمع هذه الأبيات وأطلق سراحه وعفا عنه وعاد الجزيري إلى عمله كرئيس لديوان الرسائل إلى آخر عهد ويوم للملك الحاجب المنصور.

هـ–مكانته الأدبية:

إنّ بداهة الجزيري وما يحمله من موهبة شعرية وأخرى نثرية جعلته محطّ إعجاب النّاس؛ إذ وصفوه بأرقى الأوصاف، وكان أوّل من أثنى عليه الحاجب المنصور؛ إذ قال: «لله درّك يا أبا مروان قِسناك بأهل العراق ففضلتهم فيمن تقاس بعد»[2]، وهذا الثناء دليل على مرتبة الجزيري الراقية إلى أن توفته المنيّة ولكن الثناء لم يمت؛ حيث وصفه أبو حيّان الأندلسي بقوله: «فارس نثر ونظم».[3]

وذلك بحكم قدرته الفكرية وإبداعاته وفق فنّ الخطابة والبلاغة والشعر، ولطالما كانوا يلقّبونه بكاتب الدولة العامرية في حياته، وبعالمها، وأديبها وشاعرها، كان بمثابة عالم زمانه الباهر والماهر في

1- أحمد عبد القادر، صلاحية شعر أبي مروان الجزيري الأندلسي، مرجع سابق، ص 51-54.

2- المرجع نفسه، ص 68.

3-المرجع نفسه، ص 69.

الفصاحة والبيان هكذا كان عبد الملك الجزيري لم ينتقص من قدره يوما فكانوا يحكمون إليه في كتاباتهم ويستشيرونه لحنكته وبداهته الفطرية كأنه ذلك العالم السابق لأوانه.

عبد الملك بن مروان الجزيري كان أحد الشعراء البالغين المجيدين في قوته وكان غزير المواهب متحكما في حروف كلماته كأنّه هو من يقود النظم، ويكتب لما يريد، لا أحد يفرض عليه ذلك.

والجزيري لم يسبق وأن شهد أحد مثله فر زمانه ولم يسابقه أو ينافسه أحد؛ لأنّه حين مات نعي بخاتم كتاب الأندلس.

و–مستوى شعره:

إنّ المرحلة التي عاش فيها الجزيري تعدّ من أكثر المراحل تنوّعا في الشعر الأندلسي؛ حيث لوحظ فيها الحفاظ على بناء القصيدة العربية القديمة والنسج على منوالها، كما امتزجت أيضا بتأثّر الشعراء آنذاك بالبيئة الأندلسية الطبيعية والاجتماعية ومن أمثلة ذلك: «الشاعر الجزيري؛ إذ يركب متن هذه الأساليب جميعها»،[1] فيقول:

الآن يا جاهلا زلّت بك القدم **** تبغي التكرّم لما فاتك الكرم

ندمت إذ لم تفز بنا بطائلة **** وقلّما ينفع الإذعان والندم

نفسي إذا جمعت ليست براجعة **** ولو تشفع فيك العرب والعجم[2]

والشاعر بهذا الأسلوب خاصة في البيت الأول كتب على منوال القديم بألفاظ وصيغ القديم معتمدا في الوقت نفسه على التراث.

كما أنها تمتاز بالسهولة في اللفظ والمعنى والعذوبة في الأسلوب بينما نجد أغلب قصائده تسير على النهج المحافظ لما تعتليه من أجواء الاستيحاء من التراث الديني والمديح، كقوله:

1–المرجع السابق، ص 96.

2–المرجع نفسه، ص 96.

أو هل ألذّذ مسمعي بتلاوة **** من فيك تفصح عن لقيط الجوهر

أو هل أجل خواطري بخواطر لك **** تقتضي وهج السّراج النيّر

ومن هنا يمكن القول إنّ شعره المتبقي متميّز بالجزالة والرقة وفي المستوى الرفيع وبأنه كان «من فحول شعراء القرن الرابع الهجري في الأندلس».[1]

ولهذا فقوة شعره امتزجت بين الحفاظ على منوال القصيدة القديمة مع الإتيان بالجديد كتغيير في المواضيع مع الحفظ كذلك على الأوزان وذلك على نهج التراث اللغوي القديم.

1-المرجع السابق، ص 97.

الفصل الثاني: موضوعات الشعر في القصيدة

1-قصيدة عبد الملك الجزيري في وصف السجن

2-موضوعات الشعر في القصيدة

أولا: الحنين إلى الأهل والأولاد

ثانيا: الألم والعذاب

ثالثا: المدح والفخر

رابعا: في الزهد

خامسا: الحكمة

1–قصيدة عبد الملك الجزيري في وصف السّجن:

1 ـ أَلْـوَى بِعَـزْم تَجَلُّـدي وتَصَبُّـري
نَـأْيُ الأَحِبَّـةِ، واعتيـادُ تـذكـري

2 ـ شَحَط المَزارُ فلا مَزار، ونافَرَتْ
عينـي الهجـودَ فـلا خيـالٌ يعتـري

3 ـ وقصرتُ عنهم فاقتصرتُ على جَوىً
لـم يـدع بـالـوانـي ولا بـالمُقْصِـرِ

4 ـ أزرى بصبري وهو مَشْدودُ القُوى
وألانَ عُودي وهو صُلْبُ المَكْسِرِ

5 ـ وطَوَى سُروري كُلَّهُ وتلذذي
بالعيشِ طيَّ صحيفةٍ لم تُنْشَرِ

6 ـ ها إنَّما أَلْقَى الحبيب تَوَهُّماً
بضمير تذكاري وعَيْنِ تَفَكُّري

7 ـ سُدَّت سبيل الوصل وانْحَلَّتْ عُرا
أسْبابِهِ بحلولِ يومٍ أَزْوَرِ

8 ـ تَرَكَ القلوبَ صواديا يحدو بها
حادي الردى بينَ اللها والحنجرِ

9 ـ فكأنَّ بَغْتةَ بَيْنِها مَزَجَتْ له
في كأْسِه سُمَّ الشُجاع الأَبْتَرِ

10 ـ صَفِرَتْ يداهُ كم شجا من طفلةٍ
صفراء تُنْسَبُ في بنات الأَصْفَرِ

11 ـ قد قَسَّمَ التوديعُ لحظَ جُفُونِها
قِسْمَيْنِ بين مُعَرِّضٍ ومُعَبِّرِ

12 ـ وتَرَقْرَقَتْ عَبَراتُها فَشَغَلْنَهُ
عن شُغلِه بِسَنا الوجوهِ الحُسَّرِ/ [أ / 64]

13 ـ وأراهُ عرفانُ النّوى من حُسْنِها
مرأى من المَوْتِ الزؤام الأَحْمَرِ

14 ـ أَنَّى لنا بالوصل إلاّ في الكرى
لـو أنّ وَصْـلَ النـومِ لـم يَتَعَـذَّرِ

15 ـ فـوصـالنـا لمّـا تعـذّر بـالمُنـى
أو بـالتحيّـة فـي مثـانـي أَسْطُـرِ

16 ـ ولـرُبَّمـا حَمَّلْتُهـا ريـحَ الصَّبـا
وسنـا البـروقِ المنجـداتِ الغُـوَّرِ

17ـ فإذا الدّبور سَرَتْ بِرَجْعِ جوابها
جاءَتْ بأعْطر من دُخانِ المجمَرِ

18 ـ سَقْيـاً لمثـواهـم ومـن يَثْـوي بـهِ
ولعهـدهـم إن كـانَ لـم يَتَغَيَّـرِ

19 ـ يا عابدَ الرحمان جُنِّبْتَ الأسى
كَمْ من أسىً لك في الجوانح مُضْمَرِ

20 ـ تَتَقطّـع الصُّعَـداء أنْفـاسـي بـهِ
وبفيـض أجفـانـي وإنْ لـم أَشْعُـرِ

21 ـ ابْلِـغْ «عُبيـد اللّـهِ» صِنْـوَكَ أنّنـي
لفـراقـهِ كـالسـادرِ المُتَحَيِّـرِ

22 ـ عِلْقي النفيسُ الخطر أفديه من الـ
ـخَطْـبِ المُلِـمِّ بِكُـلِّ عِلْـقٍ مُخطـر

23 ـ و «مُحَمَّـداً» للّـهِ دَرُّ مُحَمَّـدٍ
زَهْـرٌ تَفَتَّـحَ غِـبَّ مُـزْنٍ مُمْطِـرِ

24 ـ وصغيركم «عبد العزيز» فإنني
أطوي لِفُرْقَتِهِ جوىً لم يَصْغرِ

25 ـ ذاكَ المُقَدَّم في الفؤاد وإن غدا
كفْؤاً لكمْ في المنتمى والعُنْصُرِ

26 ـ إنّ البنانَ الخمسَ أكفاء معاً
والحَلْيُ دونَ جميعها للخُنْصُرِ

27 ـ وإذا الفتى فَقَدَ الشبابَ سمَا له
حُبُّ البنينَ ولا كحُبِّ الأَصْفَرِ

28 ـ واذكرْ بسرٍّ تحيَّتي من لَمْ أَبُحْ
لكَ باسمِه، ولِعِلَّةٍ لم يُذْكَرِ

29 ـ مِمَّنْ أوَدُّ له الردى لا عَنْ قِلىً
وَيَوَدُّ لو أَبْقى بقاءَ الأَدْهُرِ

30 ـ بأبي الدّراريّ المنيرةُ في الدُّجى
للناظرين وأنتَ منها المشتري/ [64 / ب]

31 ـ عُوِّضْتُ من رَعْيي لها وحضانتي
رَعْيي كواكبَ كلِّ داجٍ أخضر

32 ـ وبحالِ قُربي من مطالع زُهْرِها
حالَ القصيِّ الثاكلِ المُسْتَعْبِرِ

33 ـ في رأْسِ أَجْرَدَ شاهقٍ عالي الذُّرى
ما بَعْدَهُ لمُوَحِّدٍ مِنْ مَعْمَرِ

34 ـ يـأوي إليـهِ كُـلُّ أعـور نـاعـبٍ
وتهـبُّ فيـه كُـلُّ ريـحٍ صَـرْصَـرِ

35 ـ ويكـادُ مـن يـرقـى إليـه مَـرَّةً
فـي عمـره يشكـو انقطـاع الأَبْهَـرِ

36 ـ فكـأنَّ معمـورَ المنـازلِ حَـوْلَـهُ
ضِيقـاً وإظـلامـاً مَـلاحِـدَ مَقْبَـرِ

37 ـ كُنْتُـم لنفسـي جَنَّـةً فـارَقْتُهـا
إذْ راقَ منهـا كُـلُّ غَـرْسٍ مُثْمِـرِ

38 ـ أَسَفي على فَقْدِ المتاع بِحُسْنها
وظـلالِهـا ونسيمِهـا المُتَعَطِّـرِ

39 ـ اللَّـهُ يعلـمُ أنَّنـي مُـذْ غُيِّبَـتْ
عَـنْ ناظِرَيَّ هَجَرْتُ حُسْنَ المَنْظَرِ

40 ـ وجَنَيْتُ صَبْراً بعدها مُرَّ الجنى
ومـزجـتُ سَمّـاً دِرّة العيـش المـري

41 ـ يـا قُـرَّة العينيـن إنّـي كُلَّمـا
رُمْتُ السُلُوَّ أباهُ شـوقي المعتري

42 ـ وطـوارق الفكـر التـي عَـوَّضْتَنـي
مـن صِحَّتي حـالَ السقيـم المُحضـرِ

43 ـ بَـرَحَ الخفـاءُ فمـا لنفسـي حيلـةٌ
في الصَّبْرِ عنكَ ولو دنا لـم أصْبِـرِ

44 ـ يلتاحُ من تلقاءِ أُفْقِكَ لي سَناً
وأريحُ من ذكراك ريحَ العَنْبَرِ

45 ـ وإن استحالتْ عندها نفسي دَماً
تهمي به عيني فَخَضَّبَ مَحْجَري

46 ـ ويشي بوجدي أن أرى لك رُقْعَةً
لَبستْ بِخَطِّك بُرْدَ وَشْيٍ عبقري

47 ـ ويمُرُّ حبلُ صبابتي إنْ بِنْتُمُ
وطوى لقاءَكُمُ مرورُ الأَعْصُرِ

48 ـ وإذا دنا فِطْرٌ أو أَضْحى هاجني
فبعلّتي أُضحي ودمعي مُفْطري

49 ـ حيران أذهلُ عن إجابة من دَعا
باسمي وأوحش في الجميع الحضّرِ/ [أ / 65]

50 ـ خرسَ اللسانُ كأنّما مُسْتنطقي
مُسْتَنْطقٌ طَلَلاً بِرَبْعٍ مُقْفِرِ

51 ـ ما كنتُ ذا عُذْرٍ يبينُ لعاذري
لو لم يَسُمْني الشوقُ سيما المُعْذر

52 ـ أشكو إلى الرحمن فرقةَ شَمْلِنا
حِقَباً ثلاثاً قد وُصِلْنَ بأَشْهُرِ

53 ـ يا ليتَ شعري هل ليشعب وصلنا
من شاعبٍ وليومه من مُبشر

54 ـ بل ليتَ شعري هل تُلَبَّى دعوتي
بإجابةٍ في مجلسٍ أو مَحْضَرِ
55 ـ أَوْ هَلْ أُقَلِّبُ ناظري فأراكَ في
قُرْبي تَوَقَّدُ كالشِّهاب الأَزْهَرِ
56 ـ أو هَلْ أُلَذِّذُ مسمعي بتلاوةٍ
مِنْ فِيكَ تُفْصح عن لقيط الجَوْهَرِ
57 ـ أو هَلْ أُجَلِّي خاطري بخواطرٍ
لك تقتضي وهج السَّراج النَيِّرِ
58 ـ أو هَلْ أروِّحُ عن فؤادي ساعةً
لمشمِّكَ العذب النسيم الأَذْفَرِ
59 ـ عَجَباً لقلبي يوم راعَتْنا النَّوى
وَدَنا وداعكَ كيفَ لَمْ يَتَفَطَّرِ
60 ـ ما خلتُني أَبْقَى خلافكَ ساعةً
لولا السكونُ إلى أخيك الأَكْبَرِ
61 ـ إنسانُ عيني إن نظرتُ وساعدي
مهما بطشتُ، وصاحبي المستوزَرِ
62 ـ وإذا شكوتُ إليه شكوى راحةٍ
ذَكَّرْتُه فشكا إليَّ بأكْثَرِ
63 ـ أَرْبَى عليَّ فَحَظُّهُ ممّا بنا
حَظُّ المُعَلَّى من قداحِ المَيْسِرِ

64 ـ قد شابَ هَمّاً في اقتبال شبابهِ
إنْ كنتُ شِبْتُ مع الشبابِ المُدْبرِ

65 ـ أنحى الزمانُ عليه في حال الصبا
ورماهُ من مكروهِه في أبْحُرِ

66 ـ بغريبةٍ نكراً ومن خطراته
بلقاءِ أشهر من كذاب المنبرِ

67 ـ هذا ولمّا يلتبسن بخطوبهِ
في موردٍ منها ولا في مَصْدَرِ

68 ـ الآ يقول مُدافعٌ عن نفسه
فيما جنى باغٍ علينا مُفْتَري/ [65 / ب]

69 ـ قَدَرٌ أُتيحَ لنا بلغناهُ معاً
ومن العسير بلوغُ ما لم يُقْدَرِ

70 ـ قد ذُقْتَ يُتْمَ أبيكَ قبل وفاتِه
إلاّ تَعِلَّةَ مُرْتجٍ مُتَنَظِّرِ

71 ـ ورُزِئْتَ عمرَ أخيك فهو لحالهِ
كالغابر المودي وإنْ لم يَغْبُرِ

72 ـ فاندُبْهُما حيَّيْن وابكِ عليهما
فكلاهما مَيْتٌ وإنْ لم يُقْبَرِ

73 ـ إبك الغريبين اللذين تَبَدَّلا
بالدار والأهلين أقصى الأَدْوُرِ

74 - وأبْـكِ الفقيـديـن اللـذيـن تـواريـا
عــن مخبــرٍ خُبْــراً وعــن مُسْتَخْبِــرِ
75 - وأبْـكِ الشَّجِيَّيْـنِ اللـذيـن طَـوَتْهُمـا
حـالُ الفـراق علـى الجحيـم المُسْعَـرِ
76 - الــواردیــن لهــا مــوارد كُلَّمــا
دعــوا إلــى إصــدارهــا لــم تصْــدُرِ
77 - طـالَ العنـاءُ وَجَـدّ بـالنفس الأسـى
مُـذْ جَـدَّ بـي سَقَمـي وطـالَ تنظـري
78 - وأخـافُ فـاجئة المنـون فـإنْ تكـنْ
فـأقـنِ العـزاءَ - فَـدَتْكَ نفسي - واصبرِ
79 - إنّ الحمــامَ لَمَنْهَــلٌ مــا دونــه
لِمُمَتَّــعٍ بــالعيــش من مُتــأخّــرِ
80 - فعليـك تقـوى الله فـالـزمهـا تَفُـزْ
وحـدودَهُ حـافـظ عليهـا تُـؤجـرِ
81 - وصـراطَـهُ فـاتبـع منـاهـجَ سُبْلـه
وستــوره فــاشــدد عُــراهــا تستــرِ
82 - واعمـل بطـاعتـه تَنَـلْ منـه الـرضـا
والقــرب فــي دار الســلام وتُحْبَــرِ
83 - واجعل إمامكَ وَحْيَهُ الهادي وَخُذْ
مــن علــم محكمــه بحَــظٍّ أَوْفَــرِ

84 ـ فهو الشفاءُ لما تكنُّ صدورنا
وهو الهدى والذكر للمتذكِّرِ

85 ـ واعلم بأنّ العلمَ أرفعُ رُتْبَةٍ
وأجَلُّ مكتسبٍ وأَسْنى مَفْخَرِ

86 ـ فاسلُكْ سبيل المقتنين له تَسُدْ
إنّ السيادةَ تُقْتنى بالدَفْتَرِ/ [66 / أ]

87 ـ والعالمُ المدعوّ حَبْراً إنّما
سَمّاهُ باسم الحَبْر حَمْلُ المَحْبَرِ

88 ـ تَسْمو إلى ذي العلم أبصارُ الوَرَى
وتُغضّ عن ذي الجهل لا بل تزدري

89 ـ وبضُمَّرِ الأقلام يبلغ أَهْلُها
ما ليس يُبْلَغُ بالجيادِ الضُمَّرِ

90 ـ والعلمُ ليسَ بنافعٍ أربابَهُ
ما لم يُفِدْ عملاً وحُسْنَ تَبَصُّرِ

91 ـ فاعمل بعلمك تُوفِ نفسكَ وَزْنَها
لا تَرْضَ بالتضييع وَزْنَ المخسر

92 ـ سيّان عندي علم مَنْ لم يستفد
عَمَلاً به، وصلاة من لم يطهر

93 ـ واستن بالسُنن التي ثبتت بها
صحف الرواة عن البشير المنذر

94 - صلّى الإلّه عليه ما صدع الدجى
فَجْـرٌ، وعَـرَّفَنـا بـه فـي المحشـر

95 - وارفض حديثات الأمور فإنّها
بِـدَعٌ تُضَلِّـلُ كـلَّ قَلْـبٍ مُبْصِـرِ

96 - لا تخرجنّ عن الجماعة إنّها
تـأتـمّ بـالحـقِّ الجلـيِّ الأنـور

97 - واسمع لوصفي جُملةً من عقدها
إذ تلـقَ معنـاهـا بِفَهْـمٍ تَمْهَـرِ

98 - هي حَدُّ ما بين الضلالة والهُدى
فـي ديننـا والعـرف دون المنكـر

99 - جاهد وَصَلِّ مع الأئمة كلِّهم
واسمـع لهـم ولأمـر كـلِّ مُـؤَمَّـرِ

100 - واصبر وإن جاروا فَـرُبَّـة فتنـةٍ
تهتـاجُهـا أنصـار جَـوْر الجُـوَّرِ

101 - وارضَ القضاءَ وَدِنْ بصرفيه معاً
لـلأوّل العـالـي الصفـات الآخـر

102 - وإذا عراك الخير فاشكر وانشر
وإذا عـراك الشـرّ فـاصبـر وابشـر

103 - واجعل لوجه الله سعيكَ خالصاً
يُـذخـر لـك الحـظُّ الجـزيـل ويثمـر

104 ـ من كان يجعل في نوافل بِرِّه
وفروضه للَّه شركاً يَخْسَرِ

105 ـ وحقيقة الإيمان قولٌ يقتضي
عملاً ونيَّة خائفٍ مستشعرِ/ [66 / ب]

106 ـ ويزيد بالأعمال وهو بنقصها
في حال نقصٍ فاستدمها واذخر

107 ـ والوَحْيُ أجمعُه كلامُ اللَّهِ لا
خَلْقٌ كما زعم الغويّ المفتري

108 ـ واللَّه يبدو في الجنان لأهلها
فَيَرَوْنَهُ رَأْيَ العيان المظهر

109 ـ من غير أن يُحْصُوا حقيقة كُنْهِه
أو يدركوا حَدّاً لراءٍ مُبْصر(*)

110 ـ والحوض حقٌّ والشفاعة مثله
لا يُشكلان على امرىءٍ لا يمتري

111 ـ وكذلك الميزان يوضع قائماً
بالقسط والزلفى لمن لم يَخْسَرِ

112 ـ ولكلّ مَيْتٍ فتية في قبره
يلقى نكيراً عندها مع منكر

(*) في الأصل: المبصر، فاجتهدنا.

113 ـ ويُثَبِّتُ اللَّهُ التقاةَ إذا هُمُ
وردوا السؤال بقولِ حقٍّ مُصدرِ

114 ـ وذوو الكبائر في مَشيئة ربِّهم
إمّا يُعَذِّبهم وإمّا يَغْفر

115 ـ فاشهد جنائزهم ولا تقنطهم
وكذاك لا توجب لمن لم يكفر

116 ـ وتَوَلَّ أصحابَ النبيِّ وآلَه
وأذعْ محاسنَهُمْ جميعاً وانشر

117 ـ وامنحهمُ مَحْضَ الوداد وقَدِّم الـ
ـعمرين في كُلِّ الفضائل وابدر

118 ـ ويليهما عثمان ثم عليّ الـ
ـبطل المسوّم في الحروب الشمَّري

119 ـ خلفاء صدقٍ وطّدوا دين الهدى
وأروا معالمَهُ عيونَ النُظَّر

120 ـ والستة الأعلام من شركائهم
بِحَراء في اليوم الأغرّ الأشهر

121 ـ واذكرهمُ بالسبق واشهد فيهمُ
ولهم بما شَهِدَ الرسولُ واخبرِ

122 ـ وارغب بسمعك عن أفيكة[1] من روى
سفكوا الدماء على الشهيد الأعفر
123 ـ واذكر سواهم بالجميل ولا تكن
[67 / أ] بِمُقَدِّمٍ فيهم ولا بمؤخِّرِ/
124 ـ فجميعهم للبرِّ أَهْلٌ والتُّقى
قَمِنٌ بها وبكلِّ صالحة حري
125 ـ ودعِ المِراءَ فإنّه داءٌ ( )[2]
متقارضيه ذو ضمير مُوغرِ
126 ـ وأشدّه في الدين بل هو عندهم
كفرٌ وإن مارَيْتَ فيه تكفر
127 ـ ثم اقض حقّ الوالدين وَقُمْ بما
فَرَضَ الكتاب عليك منه وابدر
128 ـ أوسعهما بِرّاً ولا تَنْهرهما
وامنحهما قولاً كريماً واشكر
129 ـ واخفض جناحك رحمةً لكليهما
تمهد لنفسك لو فعلت وتذخر
130 ـ ولكُلِّ ذي رحم وقربى حُرمة
ولكلّ جارٍ فارعها وتذكّر

(1) الأفيكة: الكذبة العظيمة.
(2) كلمة غير مقروءة.

131 ـ وارغب بنفسك أن تعاشر غير من
كـرمـت مـذاهـب نفسـه فـي المعشـر

132 ـ إنّ التعـاشـر فـي الأنـام تشـاكـلٌ
ولـذاك يلقـى الحبـر بـالنطـف البـري

133 ـ واستصحب الورع النزيه وجانب الـ
ـطبـع السفيـه بكُـلِّ حـالٍ واهجـر

134 ـ وإذا دُفِعْـتَ إلـى قَـريـنٍ فـابْلُـهُ
قبـل التفـاوضِ والتَشـاركِ واخبُـرِ

135 ـ لا يَسْتَـفِزّكَ منظـرٌ حَسَـنٌ بـدا
حتـى تقـابلـه بحسـن المَخْبَـرِ

136 ـ فـالمـاءُ تـورده الـدلاء صفـاؤه
ومـذاقُـهُ لـلآجـن المُتَغَيِّـرِ

137 ـ والسيـف يكسبـه البهـاء حـلاوة
وفعـالـه للعـاضـد المتـأخِّـرِ

138 ـ كـم مـن أخٍ يلقـاك منـه ظـاهـرٌ
بـادٍ سـلامتـه وبـاطنـه وَرِي

139 ـ واشرح لكُـلِّ مُلِمَّـةٍ صدراً، وخُـذْ
بـالحَـزْمِ فـي بهـم الأمـور وَشَمِّـرِ

140 ـ واستنصـح البـرَّ التقـيَّ وشـاور الـ
ـفَطِـنَ الـذكـيَّ تكُـنْ رَبيـح المَتْجَـرِ

151 ـ واحفظ يمينك واطو سرَّك رقيةً
واكتم حفاظاً سرَّ غيرك واستر

152 ـ واحفل بشأنك انّ فيه شاغلاً
لكَ عن سواه فاتعظ وتَبَصَّرِ

153 ـ لا تشعرنّ لعيب من لاسَنْتَهُ
فتذيعه ولِعَيْبِ نفسك فاشْعُرِ

154 ـ كم عائبٍ قد عاب ظاهر خلّةٍ
أمثالها فيه وإن لم تظهر

155 ـ ومن العجائبِ والعجائبُ جَمَّةٌ
أنْ يلهجَ الأَعْمى بِعَيْبِ الأَعْوَرِ

156 ـ وابذل لملتمس القرى أزكى القرى
وتَلَقّ مقدمه بِوَجْهٍ مَسْفِرِ

157 ـ وإذا سُئِلْتَ فَجُدْ، وإن قلَّ الجدى
جهدُ المُقِلِّ أداء وُجد المكثر

158 ـ واشكر لمن أولاك بِرّاً، إنه
حقٌّ عليك، فلا تكن بالممتري

159 ـ وكذلك الدين النصيحة فابغها
للمسلمين وللأئمّةِ تُؤجَرِ

160 ـ لا ترضينّ لمسلمٍ غير الذي
ترضى لنفسكَ إنْ يَغِبْ أو يَحْضَرِ

61

161 ـ لا تُلفيـــن متجسِّســـاً ذا غيبـــةٍ
مُتَظَنِّنـــاً يفضـــي بمـــا لـــم يَخْبُـــرِ/ [68 / أ]

162 ـ لا تظلمـن أحـداً ولا تضمـر لـه
حَسَـداً فتحشـر فـي الفـريـق الأَخْسَـرِ

163 ـ لا تشمتـنّ بمـن رأيـتَ بجسمـه
أو حـــالـــه بلـــوى ولا تتسخّـــرِ

164 ـ ولكُـلّ حـيّ مُدّةٌ فـإذا انْقَضَـتْ
بـدُنُـوِّ يـوم حِمـامـه لـم يُنْظَـرِ

165 ـ فـاعمـل لـذاك اليـوم إنّـك مَيِّتٌ
قبـل المُضِـيِّ إلـى المميـت المُنْشِـرِ

166 ـ مـا دُمْـتَ فـي مَهَـلٍ وأعمـال التُقى
لـك بـالحيـاة مبـاحـةٌ لـم تحجر

167 ـ وارغـب عـن الـدنيـا فـإنّ وراءَهـا
يـــومـــاً ثقيـــلاً ذا غفـــارٍ مُصْغـــرِ

168 ـ دار التقلـــب والتغيّـــر ان تـــرح
بِمَسَـــرَّةٍ أو نعمـــةٍ لـــم تبكُـــر

169 ـ تـأميلُهـا غـررٌ وصَفْـوُ نعيمهـا
كَـدَرٌ ومُـؤثِـرُهـا عمـىً لـم يبصُـرِ

170 ـ أي والـذي تعلـو اللغـات بـذكـره
بمنـىً وفـي عـرفـاتهـا والمِشْعَـرِ

171 ـ فَـلِأيِّ أهليهـا صَـفَـتْ أو أيّهـم
لـم يُخْتَـرَمْ وبـأيّهـم لـم تَغْـدُرِ

172 ـ حَصِّـل بعقلك كم لها في طرفةٍ
مـن مقصـدٍ أو مثبـتٍ أو مُشْعَـرِ

173 ـ يا رُبَّ عالي القدر ممنوع الحمى
مُتَخَيِّـلٍ مُـتَـشـاوسٍ مُتَجَبِّـرِ

174 ـ بَكَـرَتْ عليه صروفُها في أهْبَةٍ
وسَـرَتْ إليه خطوبُها في عسكر

175 ـ قـابَحْنَـهُ وحططـنَ ذروة عـزِّه
وكَسَـوْنَـهُ ثـوبَ الـذليـلِ المُصغـر

176 ـ ومُتَـرَّفٍ جـذلان يعبـق ريحُـه
طيباً ويـرفـلُ فـي النسيـج التستـري

177 ـ تَـرَكتـهُ أشعـث سـاغبـاً ذا عيلـةٍ
حيـران فـي حـال الفقيـر المُقْتِـرِ

178 ـ قُـلْ للّـذي يغتـرُّ مـن زهـراتها
بسـرابِ قـاعٍ خـادعٍ للمهجـرِ

179 ـ قد أنذرتك بحكمها في من خلا
أمثـالُـه وانظـر لنفسـك أو ذَرِ/ [68 / ب]

180 ـ والـرزقُ أقسـامٌ لا تضمـن لـه
هَمّـاً وقـارب فـي طـلابـك تَظفـرِ

181 ـ ليسَ الحريصُ بزائدٍ في رزقِه
بـأتـمِّ حيلتـه هشيمـةَ إذخـرِ

182 ـ أَو ما رأيتَ غَبِيَّ قومٍ موسراً
ولَبِيبَهُمْ يسعى بحال المُعْسِرِ

183 ـ قد أَوْعَبَ التكوينُ كُلَّ مكوَّنٍ
مُذْ أحكمَ التقديرُ كلَّ مُقَدَّرِ

184 ـ وبذاك يغنيني بليلٍ داجِياً
في كوره وضح النهار الأبهر

185 ـ فلو ابتغيتَ بكُلّ جهد نَيْلَ ما
سَبَقَ القضاءُ بمنعِه لم تَقْدَرِ

186 ـ ولو اجتهدتَ لرفع ما يؤتيكَهُ
آتاكَهُ إتيانَ مُزجيّ مجبر

187 ـ تدبيرَ مُقْتَدرٍ تعالى قدره
أن يُبْتَغى من دونِه بمدبّر

188 ـ ودليل حقّ إنه الفرد الذي
فطر الجميع لذي النهى المتفكِّر

189 ـ خَلَقَ الخلائقَ كُلَّها من قدرة
لم يعتضد فيها ولم يستكثر

190 ـ كلا وباريها فليس كمثله
شيءٌ يقاس به السميع المبصر

191 ـ فارضَ القناعة رتبةً تسعد بها
واحرص على إيثار دينك تؤثر

192 ـ واسمح بمالك بل بعرضك دونَهُ
فتخول الحمد العريض وتعذر

193 ـ دين الفتى أولى به من عرضه
والعرض أولى من يسار الموسر

194 ـ فاستبق دينك دون عرضك تؤجر
واستبق عرضك دون وفرك توقر

195 ـ واصبر على نُوَبِ الزمان فإنها
قَدَرُ الإلَه الواحد المتكبِّر

196 ـ وإليه فافزع في أمورك كُلِّها
فزع التقيّ الموقن المستبصر

197 ـ إنّ الحوادث ما رمتك فلم تصب
من نفس دينك ذات خَطْبٍ أَيْسَرِ/ [69 / أ]

198 ـ أنتَ المخاطَبُ والمرادُ جميعهم
بمقالتي الحسنى ومحصُ تَخَيُّري

199 ـ إنّي نصحت بنظمه جُهدي لكم
وهديتكم سنن الطريق الأَخْصَرِ

200 ـ لمّا أحطت بعلمه فرأيته
رَأْيَ العيان وليس رَأْيَ المُخْبِر

201 ـ ضمنت أسطره نتيجة ما حوى
للعلم فضل عنايتي من أسطر

202 ـ مئتان زادت تسع عشرة وافقت
تحبيرُها مَثَلٌ لكلِّ مُحَبِّر

203 ـ أَوْتَرْتُها والوترُ أفضل سُنَّةٍ
ليس المضيّعُ وِتْرَهُ كالموتر

204 ـ لا عيبَ فيها إن بَغاهُ عائبٌ
إلاّ خفيٌّ ليس بالمستنكرِ

205 ـ أعذرت فيه فمن تبين عذره
ولّى الملامة كلّ من لم يعذر

206ـ جمعت أصول الدين واشتملت على
آدابهِ واستأثرت بالأثر

207ـ وتوشحت من سيرة السلف الأُلى
علموا الحقائقَ بالأعمّ الأَشْهَرِ

208 ـ فيها بيانٌ للمريد وعُدَّةٌ
للمستفيد ومُتْعَةٌ للسُمَّرِ

209 ـ فخذوا بأحسنها تكونوا أسوةً
للصالحين وكلّ برٍّ خَيِّرِ

210 ـ وتقبّلوا نُصحي وكونوا أسوةً
فيه بصدق تأمُّلٍ وتَدَبُّرِ

211 ـ وتناصفوا وتقارضوا البرَّ الذي
هو حلّة العاري وكنز المقتر
212 ـ وتواصلوا وتعاطفوا كيما تُرَوا
وزنادكم في كُلِّ صالحةٍ وري
213 ـ واللَّهُ حسبكُمُ وحسبي أنّه
حسب المنيب القانت المستغفر
214 ـ وإليه أسند أمركم وكفى به
سَنَداً لكُلِّ مفوض مستقدرِ
215 ـ وعليه أقصر حالكم فهو الذي
ما دونه لعباده من معصر/ [69 / ب]
216 ـ ولعلّهُ في بعض ما يقضى به
مما يشاءُ بلا وزير مُوزر
217 ـ يُدني لقاءَكُمُ بأَوْبٍ عاجلٍ
ترضاه نفسُ الآملِ المُتَجَبِّرِ
218 ـ لا تسأموا إحضارَهُ رغباتِكُمْ
فهباتُهُ مبسوطةٌ لم تُحظر
219ـ وعسى رضا «المنصور» يُسْفِرُ وجهُهُ
فَيُديلَ مِنْ وَجْهِ الفراقِ الأَغْبَرِ

كملت القصيدة والحمد لله كثيراً حقّ حمده
وصلّى اللّه على نَبيِّه محمد
وعلى آله أولاً وآخراً إلى يوم الدّين

67

2-موضوعات الشعر في القصيدة:

أوّلا-الحنين إلى الأهل والأولاد:

أمكن القول إن الشعور الذي يعيشه السجين شعور كله أسى ومعاناة عاطفية محيطة، ولكن أقسى ما عاناه الشاعر عبد الملك الجزيري في سجنه هو حنينه وشوقه إلى الأهل والأولاد، فقد كان هذا الشعور بمثابة الطعنات النازفة أو هي الجرح الذي لا يندمل في ظل مصير محتوم غير منتظر.فشوقه للأهل والأولاد بمثابة ذلك التعلّق للروح بالجسد فقد كان يرى أولاده في جلسته ونومه وأكله وشربه وكأنهم يعيشون ويعايشون معه المصير نفسه فكتب قائلا:

«ألوى بعزم تجلّدي وتصبّري *** ناي الأحبّة واعتياد تذكّري

وشحط المزار غلا مزار ونافرت *** عيني الهجود فلا خيال يعتري

وقصرت عنهم فاقتصرت على جوى *** لم يدع بألواني ولا بالمقصّر

أزري بصري وهو مشدود القوى *** وألان عودي وهو صلب المكسر

وطوى سروري كله وتلذذي *** بالعيش طيّ صحيفة لم تنشر

ها إنما ألقى الحبيب توهّما *** بضمير تذكاري وعين تفكّري»

كتب الشاعر عبد الملك الجزيري هذه الأبيات وهو في السجن يصف شوقه وحرقته على فراق أولاده الخمسة واصفا البعد الرهيب الذي بينه وبين أولاده مبكيا أحبته ومدى تذكّره الدائم لهم وذلك في قوله ناي الأحبّة واعتياد تذكّري...ثم يصف قائلا عجزه عن اللقاء وأنّه قصّر إلى التواصل إليهم وأنّ هذا البعد قد كسره ظهره وأنّ حياته كلها تغيّرت من الراحة إلى العبوس والجفاف وانه نسي معنى السرور وأصبح يعايش الألم والحزن الرهيب وذلك في قوله «وطوى سروري كلّه وتلذّذي بالعيش طيّ صحيفة لم تنشر».

كما ذكر تلمح أولاده أمامه في السجن معه وهم برفقته من كثرة شوقه لهم وخاصة ابنه الأصغر وذلك في قوله:

ها إنّما ألقى الحبيب توهّما *** بضمير تذكاري وعين تفكّري

«من الطبيعي أن يحنّ المرء إلى أهله وأقربائه وإلى ذكريات التي قضاها معهم بكل ما تحمله تلك الذكريات، لأنّها تعد جزءا من ماض عزيز يتذكّره دائما ويحن إليه، والشعر العربي غزير بحنين الشعراء إلى أهلهم وأقربائهم».[1]

ثانيا–الألم والعذاب:

تنوّعت أبيات القصيدة الرائية لعبد الملك ابن مروان الجزيري بين الحنين والشوق إلى الأهل والديار أخرى مبيّنة ومبرزة للألم الذي يعيشه داخل السجن بيم تلك الجدران الموحشة وهو يعاني ألم الفراق.

الألم وهو ذلك الصاحب الذي لم يفارق الشاعر طوال مدّة سجنه أو بالأحرى ذلك الصاحب الذي لا يهدئ الروع ولا يبعث بالأمل؛ بل الحسرة وقبضات الصدر.

كهذه الألفاظ «لا تنشر في السجن أطياف الصبابة؛ بل ظلال الهموم والآلام وكأنها يلقي عليها شفافة رقيقة حتى لا تنساح بعنفها وغلياناها؛ فالإطار يعدل هنا من حدة العاطفية والعاطفة تجعل جزئيات هذا الإطار رموزا مشعّة بمعان خبيئة شفافة».[2]

هذا ما حملته أبيات الشاعر بكل معاني الألم وذلك في قوله: [بحر البسيط]

ألوى بعزم تجلّدي وتصبّري **** ناي الأحبّة واعتياد تذكّري

1–محمد أحمد دقالي، الحنين في الشعر الأندلسي، الطبعة الأولى، 2008م، دار الوفاء للنشر والتوزيع والطباعة، الإسكندرية، مصر، ص 112.
2–امحمد بن لخضر فورار، الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية، دراسة موضوعية،ص 145.

وقال أيضا:

طوى سروري كلّه وتلذّذي**** بالعيش طيّ صحيفة لم تنشر [بحر الكامل]

ومن هنا يبيّن الشاعر فقده لكلّ معاني السرور والحياة، بسبب ألم فراق الأحبّة.

وقال أيضا:

فوصالنا لما تعذّر بالمنى **** أو بالتحيّة في مثاني أشطر [بحر الطويل]

وهنا الشاعر أيضا يصف ذلك البعد الذي لم يعد يرى أو يصل أهله ولو بالتحيّة.

وإذا كان الموت يمثّل الهزيمة والغياب، وكان الفرار يمثّل الانتصار ولو بعد حين، فقد كان الموت يبدو في جانب من جوانبه لدى هؤلاء الشعراء مرادفا لمعنى الضياع والغربة.

هذا الضياع الذي يمكن أن نسمّيه بالانهيار النفسي، وفقد طعم الحياة لفراق الأهل والديار فنجد الشاعر مجسّدا أيضا ذلك في أبيات أخرى في قوله:

تتقطّع الصعداء أنفاسي به **** وتفيض أجفاني وإن لم أشعر [بحر الكامل]

وهنا نجد الشاعر يصف حاله عند تذكّره لابنه عابد عبد الرحمن مبيّنا حرقته للقائه.

وقال أيضا:

أبلغ عبيد الله صنوي أنّني **** لفراقه كالسّادر المتحيّر [بحر الكامل]

وقال أيضا:

أسفي على فقد المتاع بحسنها **** وظلالها ونسيمها المتعطّر [بحر الكامل]

الله يعلم أنّني مذ غُيّبت **** عن ناظري هجرت حسن المنظر [بحر الكامل]

والشاعر هنا يصف ألمه ومرارته لفقدان وطنه وأرضه، مبيّنا في قوله مدى جمالها وروعتها وجمال نسيمها.

وقال أيضا:

وجنيت صبرا بعدها مرّ الجنى **** ومريت سمّا درّة العيش المري [بحر الكامل]

هذه كانت بعض الأبيات التي بيّن فيها الشاعر معاناته داخل السجن وتجرّعه آلام الحنين والشوق لأهله ووطنه.

ثالثا–المدح والفخر:

1–المدح:

كما لا تخلو أيضا قصيدة الشاعر الجزيري من فضائل وعبارات المدح ذاكرا خصال أولاده الخمسة بعدّ المدح «الثناء على ذي شأن بما يستحسن من الأخلاق النفسية كرجاحة العقل والعدل والعفّة والشجاعة وغيرها من الصفات العريقة فيه وفي قومه وتعداد محاسنه الخُلقيّة».[1]

وهذا ما جاشت به قريحة الشاعر في ذكر خصال أولاده الخمس بغية حثّهم على الصبر والالتحام وذلك في قوله:

ومحمّدا لله درّ محمّد****زهر تفتّح غبّ مزن ممطر [بحر الكامل]

وكذلك في قوله:

بأبي الدّراري المنيرة في الدجى **** للناظرين وأنت منها المشتري [بحر الكامل]

وكذلك في قوله:

1–عروة عمر، حياة العرب الأدبيّة، الشعر الجاهلي، مؤسسة الإخوة مدني للطبع والنشر، الجزائر العاصمة، د. ط، ص 124.

وهنا كأن الشاعر قد مدح ووصف ووطنه بكل الأوصاف الجمال وذلك بقوله المنيرة في الدجى.

وكذلك في قوله:

عُوِّضت من رعيي لها وحضانتي **** رعيي كواكب كل داج أخضر [بحر البسيط]

وهنا يصف أولاده بالكواكب وهذا على صيغة المدح.

وكذلك نجده يقول وهو يخاطب أولاده.

كنتم لنفسي جنّة فارقتها *** إذ راق منها كلّ غرس مثمر[بحر البسيط]

وهنا أيضا وصف الشاعر أولاده بالجنّة التي يتلذذ كل شخص بثمارها اليانعة.

2-الفخر:

كما نجد أيضا موضوع الفخر كغرض من أغراض الشعر متداولا في بعض أبيات عبد الملك بن مروان الجزيري مفتخرا بأولاده هو الآخر معتبرا أن هذا الغرض هو: «عند العرب باب واسع من أبواب شعرهم يعبّر عن ميلهم الطبيعي إلى الأنفة والعزّة، كما يعبّر عن انتفاخة أعصابهم تحت تأثير العوامل الجويّة والطبيعيّة، وانطلاقها النبّاض وراء الآمال والطموحات».[1]

الشاعر اعتمد على أن يفتخر بأولاده ليشد من أزرهم ويفع عنهم المشقّة والحيرة لذلك نجده يقول:

ذاك المقدّم في الفؤاد وإن غدا **** كفؤا لكم في المنتمى والعنصر [بحر البسيط]

فالشاعر في هذا البيت يفخر بابنه الأكبر المقدّم بعدّه الابن القادر على تولّي شؤون إخوته والحفاظ عليهم ورعايتهم، وذلك في قوله كفؤا لكم.

1-عروة عمر، حياة العرب الأدبية، الشعر الجاهلي، المرجع السابق، ص 120.

ليطلق الشاعر أيضا قريحته في الافتخار بأولاده الخمس ووصفهم بذلك العقد أو الحليّ الذي يترابط بعضه مع بعض، وذلك في قوله:

إنّ البنان الخمس أكفاء معا **** والحلي دون جميعها للخنصر [بحر البسيط]

ونجده أيضا يفتخر بأرضه ويقول:

في رأس أجرد شاهق عالي الذّرا **** ما بعده لموحّد من معصر [بحر البسيط]

هذه كانت بعض الأبيات التي افتخر فيها الشاعر بأهله ووطنه، رغم الألم والشوق...يفتخر وكأنّه أسّ بنهاية حياته لذلك يذكر بخلفيته وأهله.

رابعا–الزهد:

حظيت أيضا قصيدة الجزيري بأبيات مشعشعة ومستنيرة بالنصح والإرشاد بثوب الزهد، وهذا يعني أنّ الشاعر استخلص ما يمكن استخلاصه انطلاقا من تجاربه في الحياة ليوصي أهله بالزهد في هذه الدنيا؛ لأنّها دار فناء وعبور وليست دار بقاء وخلود «ولعلّ الثقافة ورجالاتها والأحوال السياسية العصبيّة إضافة إلى نشأة الشاعر كما أسلفت مع تجاربه الخاصة للحياة كان لها دورها المهمّ في اتّجاهه وميله إلى الزهد والتصوّف».[1]

ومن هنا يبيّن أنّ الشاعر قد نشأ تنشئة إسلامية صحيحة ومحبّ للصالحين وللخير، وهذا ما تبيّنه الأبيات التالية في قوله:

فعليك تقوى الله فالزمها تفز **** وحدوده حافظ عليها تُؤجر [بحر الكامل]

وصراطه فاتبع مناهج سبله **** وستوره فاشدد عراها تستر [بحر البسيط]

1–طاهر تواتي، ابن خميس ونثره، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، د. ط، ص 161.

فالشاعر من خلال البيتين أراد أن يبيّن وينصح باتباع طريق الله عزّ وجلّ مبيّنا في السياق نفسه ثواب من سار في التقوى، والمحافظ على حدود الله.

كما نجده أيضا في قوله:

واعمل بطاعته تنل منه الرّضا **** والقرب في دار السّلام وتحبر [بحر الكامل]

واجعل إمامك وحيه الهادي وخذ **** من علم محكمه بحظ أوفر [بحر البسيط]

في هذين البيتين نصح الشاعر بالتفرّغ لطاعة الله عزّ وجلّ بغية نيل رضاه وجنّته وتجنّب للخروج عن طريقه الصحيح، وبيّن أنّه من الأوجب الاحتكام إلى أئمّة العلم والأخذ بعلمهم الوافر والمحكم وجعلهم قدوة في الاستقامة ليقتدي بهم، وأيضا دعا للاحتكام إلى كتاب الله المحكم المعجز؛ لأنّه المورد الصّافي والمنهل العذب لنبع الاستقامة ووصفه الشاعر بذلك الشفاء في قوله:

فهو الشّفاء لما تكنّ صدورنا **** وهو الهدى والذكر للمتذكّر [بحر الطويل]

وقال أيضا:

واعلم بأنّ العلم أرفع رتبة **** وأجلّ مكتسب وأسنى مفخر [بحر البسيط]

أي أنّ رتبة العالم أعلى من رتبة الجاهل؛ فالعلم مكسب ومفخر حتّى عند الحديث بين الجلّاس.

كما يبيّن الشاعر حبّه للمثقّفين أصحاب العلم وأصحاب الخير، وذلك في قوله:

فاسلك سبيل المقتنين له تسد **** إنّ السيادة تقتنى بالدّفتر [بحر البسيط]

والعالم المدعوّ حبرا إنّما **** سمّاه باسم الحبر حمل المحبر [بحر الكامل]

كما قال أيضا:

واستنّ بالسنن التي ثبتت بها **** صحف الرواة عن البشير المنذر [بحر البسيط]

صلّى الإله عليه ما صدع الدّجى **** فجر وعرّفنا به في المحشر [بحر الكامل]

فالشاعر يبيّن هنا كذلك بالدعوة للتمسك والتشبّث بالسنن كما تناقلها الرواة وكما دعا إلى أن يحظى بشفاعة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

خامسا–الحكمة:

بنيت أيضا قصائد الشعر الجاهلي على أغراض متنوّعة نجد منها كذلك الحكمة والمثل ليست كغرض واحد في القصيدة؛ بل نذكر في بعض الأبيات يستشهد بها الشاعر انطلاقا من تجربته «والحكمة والمثل ليس من أغراض الشعر الجاهلي الرئيسية ولكنها تأتي عرضا في أثناء القصيدة ينثرها الشاعر عقب الحديث عن تجربته له في الحياة».[1]

وهذا ما تضمّنته أيضا قصيدة عبد الملك ابن مروان الجزيري من الحكمة وذلك في قوله:

وارفض حديثات الأمور فإنها **** بدع تضلل كلّ قلب مبصر[بحر البسيط]

لا تخرجن عن الجماعة إنها **** تأتمّ بالحقّ الجليّ الأنور [بحر البسيط]

واسمع لوصفي جملة من عقدها **** إن تلق معناها بفهم تمهر [بحر البسيط]

الشاعر انطلاقا من تجربته بيّن أنّه من الحكمة أن تنزع الكلام المتناقل وحديث الناس دون التأكد من ذلك فحسب قوله أنها بدع تجر كل قلب ضعيف إلى الهاوية وإلى تفرقة الشمل والبعد عن الطريق مثلا ليضيف أيضا مدى أهمية مرافق الجماعة باعتبارها ذلك الكلام والرأي المستنير الذي يتفق عليه الجميع، كما انه من الواجب فهم الكلام كاملا وفق السياق الصحيح ذلك من أجل النفع والنقل الصحيح كما بين الشاعر من الحكمة في قوله:

1–محمد زغلول سلام، مدخل إلى الشعر الجاهلي، دراسة في البيئة والشعر، منشاة المعارف بالإسكندرية للنشر، 1990، د. ط، الإسكندرية، مصر، ص 183.

جاهد وصلّ مع الأئمة كلّهم **** واسمع لهم ولأمر كلّ مؤمّر [بحر البسيط]

واصبروا إن جاروا فربّة فتنة *** تهتاجها أنكاد جور الجوّر [بحر البسيط]

وارض القضاء ودن بصرفيه معا *** لأول العالي الصفات الآخر [بحر الكامل]

والشاعر يؤكد هنا على أنه من الحكمة اتّباع أئمة العلم واتّباع أوامرهم ونواهيهم مهما كانت الأسباب حتى وإن جاروا فهذا بحسب قوله فتنة جرتها رياح الجور والحقد والضلال كما أنه من الواجب الرضا بالقضاء والقدر، فكل أمر مقدور ومحتوم بيد الله عزّ وجلّ.

وقال أيضا:

واجعل لوجه الله سعيك خالصا **** يذخر لك الحظ الجزيل ويثمر [بحر الكامل]

من كان يجعل في نوافل برّه **** وفروضه لله شركا يخسر [بحر البسيط]

وحقيقة الإيمان قول يقتضي **** عملا ونية خائف مستشعر [بحر الكامل]

والشاعر هنا أيضا يبيّن ضرورة الإخلاص في العمل، وجعله لوجه الله عزّ وجلّ، فالعمل لغير الله مذموم وشرك يخسر صاحبه كل الجزاء والثواب، فحقيقة العمل والإيمان النية الصادقة وخوف من الله.

الفصل الثالث: الدراسة الفنيّة

أولا: اللّغة

ثانيا: الأسلوب

ثالثا: الصورة الشعرية

رابعا: الموسيقى الشعرية

أوّلا–اللّغة:

تعدّ اللغة المادة الهامة والمنطلق الأساسي لبناء العمل الفنّي الأدبي؛ حيث يركز الشاعر أو الأديب أن تكون داخل السياق المطلوب أو ترويض المعنى للقارئ أو بناء صورة متكاملة لغة ومعنى لذلك قيل بأنّ: « اللغة مادة يستعملها الشاعر استعمالا خاصا وبها ينقل إلى الناس خبرة جديدة منفعلة بالحياة»،[1] وهذا الاستعمال الخاص لا يخلو طبعا من السلاسة والعذوبة المصاحبة لنقل التجارب الشعرية بنوع من الخيال لتعطي لنا صورة جمالية عن عاطفة أو واقع ما.

وانطلاقا من هذا فشعر أبي مروان الجزيري يمكن وصفه بالقاموس اللغوي الذي يعبّر فيه عن أفكاره وعواطفه وآلامه وآماله، وهو في السجن وحسب قراءتنا لقصيدته وجدنا بحرا لغويا يعبّر فيه الشاعر عن معاناته وهو في السجن والمتمثلة في:

1–ألفاظ الحنين والشوق.

2–ألفاظ الحسرة والألم

3–ألفاظ الطبيعة.

4–ألفاظ النصح والإرشاد

5–ألفاظ التمني والدعاء (الموروث الديني).

1–ألفاظ الحنين والشوق:

وكما عرفت قصيدة أبي مروان الجزيري من بداية بنائية لقصيدته، والتي يبين فيها شوقه وحنينه للأهل والأولاد في ظل فترة سجنه، وبعده عنهم مبينا ذلك في قصيدته وفي بعض الأبيات الآتية:

[1]– امحمد بن لخضر فورار، الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية، دراسة موضوعية، ، ص 200.

اللفظة	البيت الشعري (الشاهد)
اعتياد تذكري	**أولى بعزم تجلّدي وتصبّري **** ناي الأحبّة واعتياد تذكّري**
ألقى الحبيب	**ها إنّما ألقى الحبي توهّما **** بضمير تذكاري وعيت تفكّري**
ترقرقت	**وترقرقت عبراته وشغلته **** عن شغله بسنا الوجوه الحسّر**
وصل النّوم	**أنّا لنا بالوصل إلّا في الكرى **** لو أنّ وصل النّوم لم يتعذّر**
ريح الصّبا	**ولربّما حمّلتها ريح الصبا **** وسنا البروق المنجدات الغوّر**
فأراك	**أو هل أقلب ناظري فأراك في**** قربي توقد كالشهاب الأزهر**
ألذّد مسمعي	**أو هل ألذّد مسمعي بتلاوة **** من فين تفصح عن لقيط الجوهر**
خاطري	**أو هل أجلّي خاطري بخواطر **** لك تقتضي وهج السّراج النيّر**
فؤادي	**أو هل أروّح عن فؤادي ساعة **** بمشمّات العذب المسمّ الأذخر**

2-ألفاظ الحسرة والألم:

يمثّل الجزء الأول من قصيدة عبد الملك الجزيري جزء الذي يعبّر فيه الشاعر عن ألمه وحسرته على بعده عن أهله وأولاده، ومدى شوقه إليهم، هذه الحسرة مثلها الشاعر بأقصى أنواع الألم؛ حيث كأنه يعايش الألم والألم يعايش الشاعر داخل سجن الفراق، هذا البعد والألم مع مرور الوقت أصبح أمرا عاديا بالنسبة للشاعر عبد الملك الجزيري؛ لأنّه تعود على هذه المرارة هذه الألفاظ التي غطت وحظي بها الجزء الأول من القصيدة والتي سنوضحها في الجدول التالي:

اللفظة	البيت الشعري (الشاهد)
وألان عودي	**أزرى بصبري مشدود القوى **** وألان عودي وهو صلب المكسر**
القلوب الصواحيا	**ترك القلوب صواديا يحدو بها **** حادي الرّدى بين اللّهى والحنجر**
أنى لنا	**أنّى لنا بالوصل إلّا في الكرى **** لو أنّ فصل النّوم لم يتعذّر**
دخان المجمر	**فإذا الدّبور سرت برجع جوابها **** جاء بأعطر من دخان المجمر**
تفيض أجفاني	**تنقطع الصّعداء أنفاسي به **** وتفيض أجفاني وإن لم أشعر**

كالسّاحر المتحيّر	**أبلغ عبيد الله صنوك أنّني **** لفراقه كالصادر المتحيّر**
أطوى لفرقته	**وصغيركم عبد العزيز فإنّني **** أطوى لفرقته جوى لم يصغر**
ويودّ	**ممّن أودّ له الرّدى لا عن قلى **** ويود لو أبقى بقاء الأدهر**
جنة فارقتها	**كنتم لنفسي جنّة فارقتها **** إذ راق منها كلّ غرس مثمر**
أسفي	**أسفي على فقد المتاع بحسنها **** وظلالها ونسيمها المتعطّر**
مرّ الجنى	**وجنيت صبرا بعدها مرّ الجنى **** ومريت سمّا درّة العيش المري**
حال السقيم	**وطوارق الفكر التي عوّضتني **** من صحّتي حال السقيم المحضر**
استحالت	**وإن استحالت عندها نفسي دما **** تهمي به عيني فخضّب محجري**
دمعي	**وإذا دنا فطر أو ضحى هاجني **** فبغلتي أضحى ودمعي مفطري**
النّوى	**عجبا لقلبي يوم راعتنا النّوى **** ودنا وداعك كيف لم يتفطّر**
ذقت	**قد ذقت يتم أبيك قبل وفاته **** إلاّ تعلّة مرتج متنظّر**
فاندبهما	**فاندبهما حيين وابك عليهما **** فكلاهما ميت وإن لم يقبر**
ابك	**أبك الغريبين اللذين تبدّلا **** بالدار والأهلين أقصى الأدور**
الفقيدين	**وابك الفقيدين الذين تواريا **** عن مخبر خبرا وعن مستخبر**
الشجيين	**وابك الشجيين الذين طوتهما **** حال الفراق على الجحيم المسعر**

3-ألفاظ الطبيعة: كما تضمنت القصيدة ألفاظا من الطبيعة؛ لأن الشاعر ابن بيئة الأندلس الرائعة، وفي ما يأتي نماذج توضّح ذلك:

اللفظة	البيت الشعري (الشاهد)
زهر تفتح	**ومحمدا لله درّ محمد **** زهر تفتّح غب مزن ممطر**
ريح صرصر	**يأوي إليه كلّ أعور ناعب **** ويهبّ فيه كل ريح صرصر**
الشهاب	**أو هل أقلّب ناظري فأراك في *****قربي توقد كالشهاب الأزهر**
جنّة	**كنتم لنفسي جنّة فارقتها **** إذ راق منها كلّ غرس مثمر**
ظلالها	**أسفي على فقد المتاع بحسنها **** وظلالها ونسيمها المتعطر**
ريح العنبر	**ألحى الزمان عليه في حال الصبا *** ورماه من مكروهه في أبحر**
الجحيم	**وابك الشجيّين الذين طوتهما *** حال الفراق على الجحيم المسعر**
اللّيل	**وبذاك اللّيل يغشى حاجبا *** في كوره وضح النهار الأبهر**
معمور المنازل	**فكأنّ معمور المنازل حوله **** ضيق وإظلاما ملاحد مقبل**

4-ألفاظ النصح والإرشاد: كما نجد أيضا النصح والإرشاد متوفرا في شعر أبي مروان الجزيري، ومن أمثلة ذلك :

اللفظة	البيت الشعري (الشاهد)
فعليك تقوى الله	**فعليك تقوى الله الزمها تفز **** وحدوده حافظ عليها تُؤجر**
جاهد وصلّ	**جاهد وصلّ مع الأئمّة كلّهم **** واسم لهم ولأمر كلّ مؤمّر**
فارض القناعة	**فارض القناعة رتبة تسعد بها **** واحرص على إيثار ديتك تؤثر**
وإليه فافزع	**وإليه فافزع في أمورك كلّها *** فزع التقي الموقن المستبصر**
فخذوا	**فخذوا بأحسنها تكونوا أسوة **** للصالحين وكلّ برّ خيّر**
وتقبّلوا نصحي	**وتقبّلوا نصحي وكونوا أسوة **** فيه بصدق تأمّل وتدبّر**
وتواصلوا	**وتواصلوا وتعاطفوا كيما تروا ****وزنادكم في كل صالحة وريّ**
وتناصفوا	**وتناصفوا وتقارضوا البر الذي ****هو حلة العاري وكنز المقتر**

ثانيا: الأسلوب:

إذا رجعنا إلى قصيدة عبد الملك أبي مروان الجزيري نجد أن الشاعر متأثر فعلا ببيئته وواقعه، كما أن قصيدته مبنية على منوال من سبقوه من العرب والشعراء المخضرمين وهذا بما تخلّلته القصيدة من أساليب متنوعة منها:

1-أسلوب التمني: هو «طلب حصول شيء على سبيل المحبة»،[1] وللتمني قرينة حرفية بليت، ولذلك قال الشاعر في قصيدته:

يا ليت شعري هل لشعب وصالنا *** من شاعب وليومه من مبشر [بحر البسيط]

وقال أيضا:

بل ليت شعري هل تلبّي دعوتي **** بإجابة في مجلس أو محضر [بحر البسيط]

وهنا الشاعر تمنّى لو يسمع الحاكم الحاجب المنصور قصيدتيه ليرق قلبه ويعفو عنه، ويبدو وكأنه يستعطف الحاكم ليفرج عنه، وهذا ما تمناه عبد الملك الجزيري في هذين البيتين.

وقد قلنا بأنّ الشاعر لم يوظّف أساليب التمني؛ لأنّه اكتفى بالوصف لحاله وحال بُعده، وذلك عن طريق العديد من الشعراء القدامى.

2-أسلوب النداء:

ولأسلوب النداء أيضا نصيب في قصيدة الشاعر، وهذا نتيجة الضغط النفسي والانفعالات في ذاتية الشاعر جعلته يلجأ للنداء آملا الفرج العاجل؛ ولهذا فالنداء «هو طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف نائب مناب أدعو».[2]

1-مقران فصيح، البناء اللغوي لشعر السجون، منشورات بونة للبحوث والدراسات للنشر، ط 1، عنابة، 1429 هـ-2008 م، ص 162.
2-المرجع نفسه، ص 162.

وهذا ما نجده ماثلا في قول الشاعر :

يا عابد الرحمن جنبت الأسى **** كم من أسى لك في الجوانح مضمر [بحر البسيط]

والشاعر هنا ينادي أحد أبنائه وهو عابد الرحمن ليبيّن له مدى الأسى لبعده عنه، وكأنّه يتحسّر من حاله.

نجد أيضا في قول الشاعر:

يا قرّة العينين إنّي كلّما **** رمت السلوّ أباه شوقي المعتري [بحر البسيط]

في هذا البيت أيضا الشاعر ينادي ابنه ويعبّر له عن مدى شوقه للقائه ولقاء إخوته ووصفه بقرّة العينين، وانه كلما سأل عنهم زاد شوقه إليهم.

هذه الأساليب التي وظفها الشاعر ما هي إلا تعابير جياشة أيقظتها جروح الشوق للعودة والخروج من حالة القلق والألم.

3–الاستيحاء من الموروث الديني والأدبي:

أ–الموروث الديني –استيحاء من القرآن الكريم–

«لقد استوحى الشعراء الأندلسيون كثيرا من المعاني القرآنية ، ووظفوها في شتّى أغراضهم الشعرية توظيفا يعكس جانبا من ثقافيتهم، ويبيّن طريقة حياتهم وتفكيرهم في ظلال القرآن الكريم».[1]

كما حظيت قصيدة الشاعر عبد الملك ابن مروان الجزيري بكثير من الألفاظ والمعاني المستوحاة من القرآن الكريم والتي وظفها للدلالة على الإيمان بالله تعالى وقدره ودلالة على الإيمان بوحدانيته،

1–إبراهيم منصور محمد الياسين، استيحاء التراث في الشعر الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2006م، ص

وتفويض أمره كلّه لله عسى أن ينجحوا من هذا الواقع المرير، كما بدلّ أيضا توظيف الشاعر لهذه المعاني دليل على ملازمته الدائمة للذكر القرآن ومن بينها قول الشاعر:

فعليك تقوى الله فالزمها تفز **** وحدوده حافظ عليها تؤجر

وصراطه فاتبع مناهج سبله **** وستوره فاشدد عراها تستر

واعمل بطاعته تنل منه الرضا **** والقرب في دار السلام وتحبر

هنا الشاعر استوحى من القرآن بعض المعاني لكتابة هذه الأبيات لابنه الأصغر بداعي نصحه وإرشاده للتحلي بروح الإيمان والحرص على الطاعات.

وممّا جاء في باب الاستيحاء من القرآن الكريم أيضا قول الشاعر:

وارغب عن الدنيا فإنّ وراءها **** يوما ثقيلا ذا عفار مصغر [بحر البسيط]

وهنا انطلاقا من قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[1]، وكذلك نجده يقول في قوله:

وتقبّلوا نصحي وكونوا أسوة **** فيه بصدق تأمّل وتدبّر [بحر الكامل]

والشاعر هنا استوحى كلمة أو لفظة أسوة المذكورة في القرآن ولقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.[2]

وكذلك في قوله:

والله حسبكم وحسبي إنّه **** حسب المنيب القانت المستغفر [بحر البسيط]

1-سورة الإنسان، الآية 10.

2-سورة الأحزاب، الآية 21.

ذكرت أيضا لفظة حسبي في القرآن الكريم والتي اقتبسها الشاعر للدلالة على التقوى والصبر والثبات من قوله تعالى: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.[1]

كانت هذه بعض الألفاظ التي استوحاها الشاعر من القرآن للدلالة على الصبر والأمل والرجاء.

ب–الاستيحاء من الموروث الأدبي:

الاستيحاء من الموروث الأدبي أو ما يسمّى بالأخذ والنسج على منوال القدامى أو من سبقوه، وهناك من يسمّيه التضمين فهنا عبد الملك الجزيري عاد إلى التراث في قصيدته الرائية مثلا في نظمه لأبيات ذاكرا فيها الطبيعة ووطنه، ويفتخر بها كسابقيه من الشعراء، وذلك في قوله:

بأبي الدّراري المنيرة في الدجى **** للناظرين وأنت منها المشتري [بحر الكامل]

عُوّضت من رعيي لها وحضانتي **** رعيي كواكب كلّ دابع أخضر [بحر البسيط]

وكذلك في قوله:

فكأن معمور المنزل حوله **** ضيفا وإظلاما ملاحد مقبر [بحر الكامل]

ذكر عبد الملك الجزيري أيضا في أبيات أخرى، وعلى منهج القصيدة القديمة كالبكاء على الديار والأهل، وذلك في قوله:

وابك الفقيدين اللذين تواريا **** عن مخبر خبرا وعن مستخبر [بحر البسيط]

وابك الشجيّين الذين طوتهما **** حال الفراق على الجحيم المسعر [بحر البسيط]

وكأنه كتبها على منوال معلّقة امرئ القيس التي مطلعها:

1–سورة التوبة، الآية 129.

قفا نبك من ذكر حبيب ومنزل **** بسقط اللّوى بين الدخول فحومل

ولهذا أمكن القول «أما التراث فهو كل ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد وعادات وتجارب»،[1] وهذا التراكم يجعل الشاعر يسعى لتوريث التراث من خلال ذكره في القصائد والاعتراف به، ونقله كمادة لها وجود تاريخي وعامل نفسي بعدّه ذلك الماضي الممهل لجيل الغد المحافظ على عاداته وتقاليده.

1-جمعة حسين يوسف الجبوري، المضامين التراثية في الشّعر الأندلسي في عهد المرابطين الموحدين، دار الرضوان للنشر والتوزيع، ط 1، 1433 هـ-2012 م، ص 22.

ثالثا–الصورة الشعرية:

–مفهوم الصورة الشعرية:

اعتمد كثير من الشعراء في بناء قصائدهم على تصوّرات هي وليدة العاطفة مما تجعل الشاعر يسبح في الفضاء الخيالي دون وعي محاولا التعبير عن الواقع بصورة جمالية وبطريقة غير مباشرة سميّت لدى كثير من الشعراء والنقاد بمصطلح الصورة الشعرية وقد عرّفها إحسان عباس ؛ إذ تتمثل عنده في «جميع أشكال المجازية».[1]

ومن هنا أمكن القول إن الجمالية تكمن في إعطاء المصطلح والبناء الشعري نوع من الخيال أو المجاز تحفّه العاطفة الجيّاشة والتي فرّ إليها الشاعر من اجل إعطاء صورة تعبّر عما يجيش في خاطره.

أ–الصورة البيانية:

أو علم البيان وهو «علم يعرف به إيراد المعنى بطرق مختلفة»[2]، ما يعني أن إعطاء المعنى الواحد صور متعددة مشتركة في لفظة واحدة وهذا يدخل في ضمن الخروج عن المألوف، أو هي تلك التي تزيد السياق رونقا، وجمالا.

وقد عرّفه أبو الحسن الرماني بقوله: «هو إحضار المعنى للنفس بسرعة إدراك»[3] في قوله هذا يعني أن الكلام قد يصاحبه التعقيد في فهم المعنى مباشرة لوجود دلائل وقرائن دالة على المعنى بصورة أخرى يتوجب الاحتكام إلى العقل والإدراك لتوضيح الصورة.

ومن أعمدة علم البيان:

1–الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المكتبة التوفيقية للنشر، د ط، ص 170.

2–المرجع نفسه، ص 135.

3– ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر ونقده، دار الكتب العلمية للنشر، ط1، 2001م، ج1، بيروت، لبنان، ص 256.

1-التشبيه.

2-الاستعارة.

3-الكناية.

4-المجاز.

أولا: التشبيه:

من بين الجماليات التي تتحلى بها القصائد العربية والتي تزيدها رونقا وجمالا هو ذلك الخروج عن المألوف، وتوظيف ما أمكن توظيفه من التصورات الخارجية وتلك الدلالات الحاملة لصفات تزيد من قوة الدال عليه، أو المدلول وهو ما يسمى بالتشبيه والتشبيه هو «صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته لأنّه؛ لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه».[1]

وللتشبيه صيغة يتميز بها تزيد من المعنى قوة ووضوحا ومن أركانه وصفاته إذا وافق الترابط الآتي:

المشبّه + المشبّه به + أداة التشبيه + ووجه الشبه.

ومن أمثلة التشبيه في هذه القصيدة قول الشاعر: [بحر البسيط]

أبلغ عبيد الله صنوك أنّني **** لفراقه كالسّادر المتحيّر [بحر البسيط]

وهنا شبّه الشاعر ابنه عبيد الله؛ أي الفراق الذي بينه وبين ابنه كالغريب الموحش، والمتغرب المتعطش لهن وهنا تم توظيف كافة دلائل التشبيه من مشبّه، ومشبّه به، وأداة ووجه شبه.

1-ابن رشيق القيرواني، المرجع السابق، ص 256.

وكذلك في قوله:

ومحمّد لله درّ محمّد **** زهر تفتّح غبّ مزن ممطر [بحر الكامل]

وهنا شبّه الشاعر أحد أبنائه وهو محمد لطيبة أخلاقه وسريرته بالزهر عندما يتفتّح يعطي تلك الروائح الزكيّة القوية، كما شبهها هي الأخرى بقوة المزن الممطر لقوة الرائحة؛ فالمشبه هنا هو محمد والمشبه به هو الزهر.

ثانيا: الاستعارة

وقد ذكرها الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة قائلا: «اعلم أنّ الاستعارة أشدّ بيانا وأشدّ افتنانا، وأوسع سعة وأبعد غورا وأبعد نجدا في الصياغة».[1]

وهنا يعني أنّ الاستعارة تركيب من المفردات ذات جمالية في السياق ؛ حيث تمتزج بنوع من الخيال وعدم مطابقة الواقع، وهذا ليس في كل الحالات، كما تحتوي اللفظة على معاني قريبة وأخرى بعيدة، ولذلك قال أبعد غورا، وهي نوعان:

أ- استعارة مكنية.

ب-استعارة تصريحية.

الاستعارة المكنية "وهي ما حذف فيها المشبّه به ورمز إليه بشيء من لوازمه".[2]

كقول الشاعر:

يا عابد الرحمن جنبت الأسى **** كم من أسى لكل في الجوانح مضمر

1-مصطفى المراغي، علوم البلاغة، الدار العالمية للنشر، ط 3، 1414 هـ-1993 م، ص 259.
2-المرجع نفسه، ص 271.

فالشاعر هنا شبّه اشتياقه لأحد أولاده وهو عبد الرحمان بالأسى والألم وكأن هذا الألم ينخر جسده ويفت عضده؛ حيث شبه المشبه وهو الرحمن وحذف المشبه به وترك لازما من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية.

كما نجد الاستعارة المكنية في قوله:

وصغيركم عبد العزيز فإنني *** أطوى لفرقته جوى لم يصغر

والشاعر في هذا البيت يشبّه فراق ابنه الأصغر عبد العزيز بالشيء الذي يُطوى بعد الانتهاء منه، وهذا دلالة بيّنة على البعد والروح المتعطّشة للقاء ابنه؛ حيث حذف المشبّه به وذكر لازما (وهو يُطوى) من لوازمه (صغيركم).

وقول الشاعر:

عسى رضا المنصور يسفر وجهه **** فيديل من وجه الفراق الأغبر

حيث شبّه الشاعر غضب الحاكم المنصور تجاهه بالشيء الأغبر؛ أي الشاحب، والهزيل، والمتهالك، نتيجة تفكك العلاقة بينهما، وهذا ما يدل على سخط الحاجب على الشاعر؛ حيث حذف المشبه به، وأبقى على لازم من لوازمه (يسفر، وأغبر).

ب–الاستعارة التصريحية: هي ما صرّح فيه بلفظ المشبه به، كقول الشاعر:

كنتم لنفسي جنّة فارقتها **** إذ راق منها كل غريب مثمر

لقد شبه الشاعر أولاده بالجنة لطيبة رائحتهم وأخلاقهم وتماسك بعضهم فهم كالغرس المثمر؛ حيث حذف المشبه، وأبقى على لازم من لوازمه وهو كنتم وذكر المشبه وهو الجنة على سبيل الاستعارة التصريحيّة.

وقوله:

يلتاح من أنفك لي أسنا *** وأريج من ذكرتك ريح العنبر

شبه الشاعر ابنه الأصغر، وسوقه له وحنينه واحتراق نفسه، فحذف المشبه وترك المشبه به، في قوله وأريج من ذكراك وذكر المشبه به وهو ريح العنبر وهذا على سبيل الاستعارة التصريحية.

ثالثا: الكناية:

لغة:

«ما يتكلم به الإنسان ويريد به غيرهن وهي مصدر كنيت أو كنوت بكذا عن كذا».[1]

اصطلاحا:

«لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع قرينة لا تمنع إرادة المعنى»[2]، وهذا يعني ما يتكلم به المخاطب مع ذكر قرائن وصفات دالة على المخاطب؛ أي كلام أريد به ذكر الغير كقولنا: أحمد كالأسد فهنا أحمد كناية عن الشجاعة، ولهذا فالمصطلح الأسد ذكر للدلالة على شجاعة وشهامة أحمد؛ لأنّ الأسد يتّصف بذلك.

وهذا ما حظيت به قصيدة عبد الملك بن مروان الجزيري من وجود بعض الأبيات الدالة على الكناية في قوله:

وإذا الفتى فقد الشّباب سما له **** حبّ البنين ولا كحبّ الأصغر [بحر الكامل]

وهنا كناية عن كبر السن قصدها الشاعر مبينا ذلك في قوله إذا الفتى فقد الشباب، وكذلك في قوله:

1-السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د. ط، 2003، ص 286.
2-المرجع نفسه، ص 287.

خرس اللسان كأنما مستنطقي **** مستنطق طللا بربع مقفر [بحر الكامل]

وهنا كناية عن الذهول والتعجب والانبهار.

وكذلك في قوله نجده يقول:

أنحى الزمان عليه في حال الصبا **** ورماه من مكروهه في أبحر [بحر البسيط]

كناية عن كبر سن أيضا لكن الشاعر قصد ذلك الإرهاق والعجز المبكّر لذلك نجده يقول:
إن كنت شبت مع الشباب المدبر

كذلك في قوله:

تسمو إلى ذي العلم أبصار الورى **** وتغض عن ذي الجهل لا بل تزدري

في هذا البيت كناية على نور العلم وفضله؛ لذلك وصف الشاعر صاحب العلم بصاحب العلم بصاحب السكينة والوقار عكس صاحب الجهل.

رابعا: المجاز:

يعرف بأنه "استعمال اللفظ في غير موضعه لإرادة علاقة مع ترك قرينة تمنع إيراد المعنى الحقيقي".[1]

وهو نوعان مجاز عقلي ومجاز مرسل

أ. **المجاز العقلي**: المراد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه ضرب من التأويل[2]

كقول الشاعر وهل أروّح عن فؤادي ساعة *** بمشمك العذب المشم الأذفر

1-عبد العزيز عتيق، علم المعاني البيان والبديع، دار النهضة العربية للنشر، د. ط، ص 142.
2- المرجع نفسه، ص 143

الفؤاد لا يروح ذكر الشاعر الفؤاد دون بقية أعضاء الجسد كأنه يشبه الفؤاد بالشخص لكي يروّح عنه يستأنس به، وهذا على سبيل المجاز العقلي.

ب–المجاز المرسل: وهو المجاز الذي تكون فيه العلاقة غير المشابهة وسمي المرسل؛ لأنّه لم يقيّد بعلاقة مشابهة، وله علاقات شتّى.[1]

كقول الشاعر:

عوضت من رعيي لها وحضانتي رعي الكواكب كل داج أخضر

هنا الشاعر قال عوضت من رعيي لها وحضانتي رعي كواكب مع كل دامع أخضر، والمقصود هنا المطر وشدة جمال الطبيعة واخضرارها والبلاد، وليست البلاد هي التي تروى؛ بل النبات، وهنا مجاز مرسل علاقته السببية؛ لأن المطر هو سبب الرعي.

وقول الشاعر:

إذا ما دنا فطر أو *** فبغلتي أضحي دمعي مفطري

فالشاعر في قوله دمعي مفطري في الحقيقة الدمع لا يفطر بل الغداء، والشاعر من كثرة بكائه هجر المأكل والمشرب، والدموع أغنته هذا ذلك وهنا مجاز مرسل علاقته السببية.

كذلك نجد في قوله:

فهو الشفاء لما تكن صدورنا ****وهو الهدى والذكر للمتذكر

فالشاعر يدعو للأخذ بالقرآن، لأنه الذكر المحكم وشفاء الصدور، وخصّ الشاعر الصدر عن غيره، وهذا له وقع بليغ في النفوس على سبيل المجاز المرسل وعلاقته الجزئية.

1-المرجع السابق، ص 156.

ب- المحسنات البديعية:

ويقصد بها تحسين الكلام مع مراعاة مقتضى الحال؛ أي حالة السامع ومدى وضوح الدلالة وبعدها عن الإبهام ومنها:

أ-الطباق:

«ويقال التطبيق، والطباق والتضاد».[1]

وقال الخليل بن احمد الفراهيدي: «طابقت بين الشيئين إذا جمعت بينهما على واحد»[2]؛ أي الإتيان بكل كلمة وما يقابلها كقولنا: «الظاهر والباطن، ومن أنواعه:

***طباق السلب:** وهو ما لم يصرّح فيه بإظهار الضدين أو هي ما اختلف فيها الضدان إيجابا وسلبا كقولنا يعلمون ≠ لا يعلمون.

***طباق إيجاب:** وهو ما صرّح فيه بإظهار الضدين أو هي ما لم يختلف فيه الضدّان إيجابا وسلبا.

***طباق التضاد:** وهو أن يوهم لفظ الضدّ أنّه ضد مع أنّه ليس ضد كقول الشاعر»:[3]

يبدي وشاقا أبيضا من سبيه **** والجو قد لبس الوشاح الأغبرا

والقصيدة التي بين أيدينا متضمنة أنواع الطباق كقول الشاعر:

أزرى بصبري وللوشدود القوى **** وألان عودي وهو صلب المكسر

والطباق هنا مشدود ≠ ألان طباق إيجاب

1-عبد العزيز عتيق، علم المعاني، البيان، والبديع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د. ط، ص 76.
2-المرجع نفسه، ص 79.
3- المرجع نفسه، ص 79.

وكذلك في قوله:

ولربّما حملتها ريح الصبا **** وسنا البروق المنجدات الغوّر

هنا كذلك طباق إيجاب في قول الشاعر:

إنسان عيني إن نظرت وساعدي **** مهما بطشت وصاحبي المتنوّر

نجده كذلك يقول:

هي حدّ ما بين الضلالة والهدى **** في ديننا والعرف دون المنكر [بحر البسيط]

وطباق الإيجاب في هذا البيت يتجسد في قوله الضلالة ≠ الهدى

أما طباق السلب ففي قوله:

وإذا الفتى فقد الشباب سما له *** حبّ البنين ولا كحب الأصغر [بحر الكامل]

فلفظة حب ولا حب هنا طباق سلب فهي مبنية على الضدين للفظتين زيادة على وجود حرف النفي لا.

وكذلك في قوله:

واذكر بسر تحيّتي من لم أبح **** لك باسمه ولعلّة لم يذكر [بحر البسيط]

كذلك لفظة واذكر ولم يذكر طباق سلب عمد الشاعر في ذلك لعدم ذكر أحد أولاده لعظم شوقه له ولألمه لفراقه، كذلك في قول الشاعر نجده يقول:

أعذرت فيه فمن تبيّن عذره **** ولّى الملامة كلّ من لم يعذر [بحر البسيط]

الطباق هنا في لفظة أعذرت ولم يعذر طباق سلب.

كانت هذه بعض الأبيات نماذج من وجود طباق السلب في مضمون القصيدة أما النوع الأخير فهو طباق التضاد، ففي قول الشاعر:

ضفرت يداه لم شجا من طفلة **** صفراء تنسب في بنات الأصفر

في الوهلة الأولى يتبيّن من خلال البيت أن الشاعر يوضّح مدى الشوق وعدم وجود أي حيلة حيال أمر الفراق لذلك قال صفرت يداه، ولكن بعدها يبيّن أن هذا الفراق أمر محتوم لحال السجين أو البعيد، وأنّ هذا الشوق جاء نتيجة البعد الذي لا مفرّ منه.

ب- الجناس:

وهو ما يسمّى بالمجانسة والتجانس مع اختلافهما في المعنى ولذلك قال: «أما التجنيس فإنّك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلّا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعا حميدا»،[1] وهذا يعني كما أسلفنا الذكر الاتفاق في اللفظ والاختلاف في المعنى، وهو نوعان: جناس تام وجناس ناقص.

1-الجناس التام:

«هو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في نوع الحروف وعددها وترتيبها وهيئتها».[2] ونجد في قول الشاعر:

وإذا دنا فطر أو أضحى هاجني **** فبغلتي أضحي ودمعي مفطري

يكمن الجناس في هذا البيت في لفظتي أضحي وأُضحي، فالأولى للدلالة على حالة معيّنة من الزمن، والثانية على القيان يفعل كالنحر مثلا، أو أي فعل خارج عن حالة نفسيّة ما.

1-عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1999م، ص 09.
2-المرجع نفسه، ص 09.

2-الجناس الناقص:

«هو ما اختلف فيه اللفظان من ناحية الحروف».[1] كقول الشاعر:

خرس اللّسان كأنما مستنطقي *** مستنطق طللا برع مقفر [بحر الكامل]

فهنا جناس ناقص في لفظتي مستنطقي ومستنطق، فالأولى دلالة على السائل، والثانية دلالة على التنازع، وكذلك في قوله:

ما كنت ذا عذر يبين لعاذري **** لو لم يسمني الشوق سيما المعذر [بحر البسيط]

الجناس الناقص وقع في لفظتي عذر ولعاذري الأولى دلالة على القول، والثانية دلالة على الشخص.

1-المرجع السابق، ص 10.

رابعا: الموسيقى الشعرية:

أ-الموسيقى الخارجية:

1-الوزن: لقد حفل إيقاع الشعر بحيوية وتنوع نتيجة الفاعلية الشعرية عند العرب، هذا التفاعل جاء نتيجة لما يتغنى به العرب من أغراض مختلفة لتزيد من حبكة وصناعة جمالية الصياغة أو ما يسمى بالرتابة والنظام، ولهذا فقد «رتّب العروضيون بحور الشعر الستة عشر على حسب اشتراك كل مجموعة منها في دائرة عروضية واحدة»[1]، وهذا على الوجه الآتي:

1-بحر الطويل والمديد والبسيط.

2-الوافر والكامل.

3-الهزج والرمل.

4-السريع، والمنسرح، والخفيف، والمضارع، والمقتضب، والمجتث.

5-المتقارب والمتدارك.

وهذا ما سوف يتم تطبيقه وتحليله في هذه القصيدة من خلال استخراج أهم البحور الشعرية التي نظم على منوالها، كما سيتم تحديد نسبة وجود البحور داخل القصيدة.

البحور الشعريّة في القصيدة	عدد الأبيات
بحر الطويل	06 أبيات
بحر المديد	04 أبيات
بحر البسيط	111 بيت
بحر الكامل	93 بيت
بحر الخفيف	06 أبيات

1-عبد العزيز عتيق، علم العروض والقافية، دار النهضة العربية، للطّباعة والنشر والتوزيع، لبنان، د. ط، ص 25.

2-القافية:

«يعرّف علماء العروض القافية بأنها: المقاطع الصوتية التي تكون في أواخر أبيات القصيدة التي يلزم تكرار نوعها في كل بيت».[1]

وهذا يعني أنّ الشاعر ملزم بالتحكم في القصيدة انطلاقا من البيت الأوّل، والشاعر إذن أنهى مطلع قصيدته مثلا بسكون أواخر الكلمات فإنه يتوجب عليه فعلا أن يغتنم أبيات القصيدة على ذلك المنوال، ولهذا تنوّعت حركات القافية وأنواعها بين قافية مطلقة وقافية متحرّكة؛ أي كل ما يتعلق بحركة الروي من سكونه وحركته. وهذا أيضا ما سيتم معالجته في هذه القصيدة.

قصيدة عبد الملك بن مروان الجزيري هذه القصيدة سمّيت بالرائية؛ لأنها نسجت على منوال حرف روي واحد هو الراء.

القافية في هذه القصيدة قافية مطلقة متحرّكة الروي، ونسجت من أول بيت إلى آخر بيت على هذا الشكل، رغم وجود ياء بعد الروي، لكن هذا الحرف لا يصلح أن يكون رويا باعتبارها إشباع فقط لحركة الروي، ويمكن الاستغناء عنها؛ لأنّ الياء هنا ياء المتكلم كقول الشاعر:

وإذا دنا فطر وأضحى هاجني **** فبغلتي أضحي ودمعي مفطري

ولهذا أمكن القول إنّ بناء قصيدة الجزيري تمّ وفق قافية مطلقة في جميع الأبيات.

القافية	عدد الأبيات/نسبة
قافية مطلقة	%100

1-عبد العزيز عتيق، المرجع السابق، ص 136.

ب–الموسيقى الداخلية:

ومن أهمّ ما يمكن معالجته في هذا الموضوع ما يسمى بالتصريع والتكرار:

1–التصريع:

وهو «جعل المصراع الأول من البيت كآخر المصراع الثاني»[1]، وهذا يعني أنّ تكون نهاية الشطر الأول كنهاية الشطر الثاني وهذه الطريقة التي اعتمدها الشعراء، وكانوا يعتنون بها، وهنا تظهر قيمة وجمالية العمل الأدبي، وهذا كقول الشاعر:

ألوى بعزم تجلّدي وتصبّري **** ناي الأحبّة واعتياد تذكّري [بحر البسيط]

والتصريع هنا بين كلمتي: تصبّري وتذكّري، كذلك في قوله:

سدت سبل الوصل وانحلت عرا **** أسبابه بحلول يوم أزور [بحر البسيط]

وهنا بين كلمتي: أزرى، وأزور.

كذلك في قوله:

أو هل أجلي خاطري بخواطر **** لك تقتضي وهج السراج النيّر [بحر الكامل]

وكذلك نجد تصريعا في قول الشاعر:

وإذا عراك الخير فاشكر وانشر *** وإذا عراك الشرّ فاصبر وابشر [بحر الكامل]

هذه كانت بعض أمثلة التصريع في قصيدة الجزيري بما تميّزت به بعض الأبيات من تكرار لحرف الروي في البيت الواحد، وهذا ما حقق حسنا موسيقيا إضافيا ونغما نقيّا.

1–منذر ذيب كنفاني، الشكل والمضمون في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط 1، 2014 م، ص 281.

2-التكرار:

وهو ما اعتمد عليه أيضا كثير من الشعراء في قصائدهم والجزيري واحد منهم، كتكرار الحروف أو الكلمات أو كلمات ذات وزن صرفي واحد ولهذا «فالشاعر عندما يأتي بصوت موسيقي ويكرره في بيت شعري أو أكثر أنه يفعل ذلك ارتجالا؛ بل إن الشاعر كان يعمد إلى ذلك قصدا لإعطاء شعره هذه السمة الموسيقية التنغيمية».[1]

وهذا ما نجده في قول الشاعر في قصيدته:

عوضت من رعيي لها وحضانتي **** رعيي كواكب كل دابع أخضر [بحر البسيط]

والتكرار وقع هنا بين كلمتي رعيي في الشطر الأول والثاني.

وكذلك نجد التكرار في قول الشاعر:

وجنيت صبرا بعها مرّ الجنى **** ومريت سمّا درّة العيش المري [بحر الكامل]

وهنا تكرار الكلمات التي لها المعنى نفسه، وهي مرّ ومريت والمري، وكذلك لها الصيغ الصرفية نفسها. وهذا نوع من أنواع التكرار، تكرار الصيغ الصرفية.

كذلك نجد في قوله:

ما كنت ذا عذر يبين لعاذري **** لو لم يسمني الشّوق سيما المعذر [بحر البسيط]

نجد في هذا البيت تكرارا في الألفاظ الآتية: اعذر-لعاذري-المعذر

وكذلك في قوله:

وإذا شكوت إليه شكوى راحة **** ذكرته فشكا إليّ بأكثر [بحر الكامل]

1-منذر ذيب كنفاني، المرجع السابق، ص 273.

وهنا في هذا البيت وقع التكرار في بين كلمات: شكوت، شكوى، فشكا.

وأمثلة التكرار كثيرة اعتمدها الشعراء في تحسين مستوى شعرهم، وكذا في إعطاء إضافة لقصائدهم من تنغيم جيّد وأسلوب راقي.

خاتمة

بعد هذه الجولة الرّحبة في حدائق الشّعر الأندلسي الغنّاء من خلال قصيدة أبي مروان الجزيري في وصف السّجن، خلصنا إلى جملة من النتائج نجملها في ما يأتي:

*شعر الأندلس ليس شعر الطبيعة فحسب بالرغم ما تحويه من جمال الطبيعة واخضرار المكان إلا أن مواضيع الشعر سرعان ما تطورت بتطور الأحداث والوقائع.

* نظمت قصيدة عبد الملك الجزيري الملهمة بتعاليم الدين وموشحة بالحنين العابق إلى الأهل والأحبة ممزوجة بالتأمل والرجاء والثبات والدعوة إلى التمسك بالله واصفا لما يعانيه داخل سجنه هذا السجن الذي عان فيه ويلات البعد والفراق.

*تمحورت القصيدة في بادئ الأمر من ذكر للأحبة ووصف ألم الفراق والبعد إلى ذكر أولاده الخمس إلى أن يعبر بعدها عن فقده حسن المناظر لبعده عن وطنه وكأنه وبطريقة غير مباشرة يريد أن يبين مدى جمالية وطنه كما أوصى بنيه بالتكافؤ والتلاحم وانتهاج طريق الصواب ومجالسة الجماعة والعلماء وعدم الخروج عنهم.

*الشاعر في قصيدته يروي تجربته في الحياة وأنها تستوجب منهم الثبات والتأمل قبل المضي قدما..وهذا ما تضمنته الأبيات الأخيرة من القصيدة كما تضمنت دعوة الشاعر واستعطافه للحاجب المنصور ليفرج عنه ...وفي النهاية كان له ما أراد ..هكذا كانت مسيرة الشاعر عبد الملك الجزيري من الأدب والسياسة إلى كتابة الشعر داخل سجن طرطوشة.

*الشاعر كان أحد الأدباء والوزراء المقربين للحاجب المنصور وكان من أهم المرافقين له وكان ذا مكانة خاصة في قلب الحاجب المنصور لكن هذه الرفقة لم تدم ولم يدم لا المنصب ولا المكانة أمام غضب المنصور على الشاعر بسبب خلافات سياسية والبعض يقول أنها متعلقة بعصيان الشاعر لأوامر الحاجب المنصور فكانت النهاية السجن وعزله عن أي منصب وعن كل ما يمت بصلة للشاعر فكان سجن طرطوشة هو المآل إلى ذلك.

* بنيت القصيدة على منهج القصيدة العربية القديمة ولم تختلف عنها كثير وهذا ما أراده الشاعر أيضا أن يتضمن بعض من التراث القديم على نهج من سبقوه.

قائمة المصـادر

والمـراجـع

***القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.**

أولا: الكتب

1-إبراهيم منصور محمد الياسين، استيحاء التراث في الشعر الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2006م.

2-ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر ونقده، دار الكتب العلمية للنشر، ط1، 2001م، ج1، بيروت، لبنان.

3-أحمد عبد القادر، صلاحية شعر أبي مروان الجزيري الأندلسي، ط1، 1418هـ-1997 م، دار المكتبي، دمشق، سوريا.

4-امحمد بن لخضر فورار، الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية، دراسة موضوعية، منشورات مخبر أبحاث في اللّغة العربية، قسم الأدب العربي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر.

5-بشير تاوريريت، ملخص محاضرات في علم المصطلح، من كتاب إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي ليوسف أوغليس، نهج مكتبة الرائد.

6-جمعة حسين يوسف الجبوري، المضامين التراثية في الشّعر الأندلسي في عهد المرابطين الموحدين، دار الرضوان للنشر والتوزيع، ط 1، 1433 هـ-2012 م.

7-رحمان غركان، الأسلوبية بوصفها مناهج، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى، 1435هـ-2014م، بيروت، لبنان.

8-سالم معوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية للطباعة للنشر 1424 هـ، 2003، بيروت، لبنان.

9-السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د. ط.

10-طاهر تواتي، ابن خميس ونثره، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، د. ط، ص 161.

11-عبد العزيز عتيق، علم العروض والقافية، دار النهضة العربية، للطّباعة والنشر والتوزيع، لبنان، د. ط.

12-عبد العزيز عتيق، علم المعاني، البيان، والبديع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د. ط.

13-عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1999م.

14-عروة عمر، حياة العرب الأدبيّة، الشعر الجاهلي، مؤسسة الإخوة مدني للطبع والنشر، الجزائر العاصمة، د. ط.

15-محمد أحمد دقالي، الحنين في الشعر الأندلسي، الطبعة الأولى، 2008م، دار الوفاء للنشر والتوزيع والطباعة، الإسكندرية، مصر.

16-محمد زغلول سلام، مدخل إلى الشعر الجاهلي، دراسة في البيئة والشعر، منشاة المعارف بالإسكندرية للنشر، 1990، د. ط، الإسكندرية، مصر.

17-مصطفى المراغي، علوم البلاغة، الدار العالمية للنشر، ط 3، 1414 هـ-1993 م.

18-مقران فصيح، البناء اللغوي لشعر السجون، منشورات بونة للبحوث والدراسات للنشر، ط 1، عنابة، 1429 هـ-2008 م.

19-منذر ذيب كنفاني، الشّكل والمضمون في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط 1، 2014 م.

ثانيا: المجلّات والدوريات:

20-امحمد بن لخضر فورار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قاصدي مرباح، مجلة الأثر، العدد 6، ماي 2007 ، ورقلة، الجزائر.

فهرس الموضوعات

مقدّمة.....أ-ج

الفصل الأول: عبد الملك الجزيري حياته ومكانته الشعريّة.....5-15

1-السجن مفهومه وموضوعاته.....5-7

أ-مفهوم السجن لغة.....5

ب-السجن اصطلاحا.....5-6

ج-موضوعات شعر السجون.....6-7

2-عبد الملك الجزيري حياته ومكانته الشعرية.....8-15

أ-مولده ونشأته.....8

ب- حياته في عهد الحاجب المنصور.....9

ج- شعره.....10

د- سجنه ووفاته.....11-13

هـ- مكانته الأدبيّة 13-14

و-مستوى شعره.....14-15

الفصل الثاني: موضوعات الشّعر في القصيدة.....16-47

1-قصيدة أبي مروان الجزيري في وصف السجن.....17-38

2-موضوعات الشعر في القصيدة.....39-47

أولا: الحنين إلى الأهل والأولاد.....39-40

ثانيا: الألم والعذاب.....40-42

ثالثا: المدح والفخر.....42-44

رابعا: في الزهد.....44-46

خامسا: الحكمة.....46-47

الفصل الثالث: الدراسة الفنيّة.....48-73

أولا: اللّغة.....49-52

1-ألفاظ الشوق والحنين.....49-50

2-ألفاظ الحسرة والألم.....50-51

3-ألفاظ الطبيعة.....52

4-ألفاظ النصح والإرشاد.....52

ثانيا: الأسلوب.....53-57

1-أسلوب النداء.....53

2-أسلوب التمني.....53-54

3-الاستيحاء من الموروث الديني والأدبي.....54-57

أ-الاستيحاء من الموروث الديني.....54-56

ب-الاستيحاء من الموروث الأدبي.....56-57

ثالثا: الصورة الشعرية.....58-68

أ-الصورة البيانية.....58-64

1-التشبيه.....38-60

2-الاستعارة.....60-62

3-الكناية.....62-63

4-المجاز.....63-64

ب-المحسنات البديعية.....64-68

1-الطباق.....65-67

2-الجناس.....67-68

رابعا: الموسيقى الشعرية.....69-73

أ-الموسيقى الخارجية.....69-70

1-الوزن.....69

2-القافية.....70

ب-الموسيقى الداخلية.....71-73

1-التصريع.....71

2-التكرار.....72-73

خاتمة.....74-75

قائمة المصادر والمراجع.....76-78

فهرس الموضوعات.....79-83

ملخّص:

موضوع بحثنا هو شعر السّجن وتجربة عبد الملك الجزيري لهذا الحجز، إذ قمنا بدراسة هذا الموضوع دراسة أسلوبية فنيّة؛ حيث تمّ التطرّق في بادئ الأمر إلى حياته ونشأته ومكانته مستواه الأدبي والسياسي، لننتقل بعدها إلى الحديث عن أهم موضوعاته الشعرية التي تناولها الشاعر في سجنه، وكانت تتمحور ضمن الشوق والحنين إلى الألم والعذاب لفراق الوطن والأهل، واصفا آلام هذا البعد، وهذا ما تمّ التطرّق إليه من جانب أسلوبي، أما من الجانب الفنّي في شعره فقد تناولنا اللغة والأسلوب، وكذا استحياؤه من الموروث الديني والأدبي إلى جانب الصورة الشعرية التي مسّت كلّا من الصورة والمحسّنات البديعية، وكذا الموسيقى سواء الداخلية أو الخارجية.

Abstract :

The subject of our research is prison's poetry and the experience of Abdul Malek Jaziri for this jail, we have studied this subject in the stylistic and art side; where we iilustrated his life and his upbringing and status of the literary and political level, then we move to talk about the most important poetic themes addressed by the poet in prison, and was This is what has been addressed by my style. As for the artistic side of his poetry, we have dealt with the language and the style, as well as his lack of religious and literary heritage, as well as the poetic image that has touched both Image, as well as music, whether internal or external.